الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع

د. عبد الله عوض راشد العجمي *

(*) مدرس بقسم العقيدة والدعوة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت.
(*) بحث مدعوم من إدارة الأبحاث بجامعة الكويت برقم (ZH04/07)).

ملخص البحث

شهدت وسائل الإعلام والاتصال في هذا العصر ثورة تقدمية هائلة فاقت كل التصورات، كان من نتائجها: ظهور مئات القنوات الفضائية، وانتشار أجهزة الاستقبال في كل مكان، وضرورة استخدام شبكة الإنترنت لكل فرد من أفراد العالم، رافق ذلك عدد مهول من المواقع والصفحات الإلكترونية، مما نقل الحروب بين قوى وشعوب العالم من ساحات المعارك في الحروب التقليدية إلى الحروب الإعلامية عبر الفضاء، ولاسيما بعد أن ظهر لهم جدواها وسرعة تأثيرها وقلة خسائرها.

ولا شك في أن الطرف الغالب في هذه المعادلة – في المقاييس البشرية – هو من يقود دفة الإعلام، ويتحكم بمواده، ويضع برامجه؛ وهذا يعني أن ما يسمى بالدول النامية – ومنها الدول الإسلامية – لن تكون في هذه المعادلة إلا في الجانب المتأثر لا المؤثر، ولذا كان من الواجب علينا توعية المجتمعات والحكومات الإسلامية بخطورة تلك الحروب وذلك الغزو القادم من الفضاء، ومحاولة البحث عن الوسائل التي تحد من تأثيره.

وقد جاء هذا البحث لبيان حقيقة ذلك الغزو الذي تتعرض له المجتمعات الإسلامية من خلال وسائل الإعلام المرئي، ومدى خطورته، والمجالات التي يحاول النفوذ منها من خلال معرفة واقع المجتمع واستخداماته لتلك الوسائل، ثم التنبيه على الأخطار العقدية والثقافية والسلوكية والاجتماعية التي تتضمنها تلك المواد البرامجية والمواقع الإلكترونية، ثم اقتراح عدد من الوسائل يمكنها الحد من تأثيرات تلك الأخطار.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

فتشهد المجتمعات العالمية في هذه الأيام حالة مذهلة من التطور في وسائل الإعلام والاتصال؛ نتيجة للتقدم العلمي الكبير والثورة التكنولوجية الهائلة التي يشهدها العالم، وقد كان لهذا التطور أثره الواضح في حياة الأفراد والمجتمعات، فقد أصبحنا نرى تغيرات متسارعة في ثقافة وفكر وسلوك الناس كان من أهم أسبابها –في نظري– تلك الوسائل الإعلامية الحديثة التي أضحى العالم من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه – بسببها – كأنه قرية صغيرة، وما زال العالم إلى هذه اللحظة يصغر شيئاً فشيئاً مع تواصل هذا التطور في وسائل الإعلام والاتصال.

ولذا فليس من المبالغة – أبداً – أن نقول: إننا نعيش اليوم "مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود وأزالت السدود، واختزلت المسافات والأزمان، واختصرت التاريخ، وتكاد تلغي الجغرافيا، حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده. ولم يقتصر الأمر على اختراق الحدود السياسية والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوزه إلى إلغاء الحدود الثقافية، ويتدخل في الخصائص النفسية، وتشكيل القطاعات العقدية، فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً، والبيان الأكثر سحراً، والتحكم الأكثر تقنية".

وهذا يعني أن تأثير تلك الوسائل أصبح لا يقل عن تأثير جيوش المستعمر الجرارة وأسلحته العسكرية الفتاكة، بل إنه في الواقع قد فاقها؛ والسبب في ذلك أنه صار بإمكان الدول العظمى التي تقود دفة الإعلام العالمي السيطرة على الدول والمجتمعات الضعيفة ونهب ثرواتها ومقدراتها، وتغيير أفكارها وثقافتها من خلال الترسانة الإعلامية والأسلحة الإلكترونية.

ولقد أصبح اعتماد الناس كبيراً على وسائل الاتصال الحديثة في الحصول على المعلومة، فأصبحت القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية هي المصدر

الرئيس عند كثير من أفراد المجتمعات للتلقي، وبما أنها تشتمل على عدد كبير من البرامج والمواد الإعلامية المختلفة والمعلومات والأفكار المتباينة – وهي في حقيقتها تنطلق من منظومة فكرية وعقدية متعددة – كان لهذه المضامين تأثيرات وأخطار كبيرة على أفراد المجتمعات الإسلامية.

ولهذا كان من الضروري تنبيه المجتمع وتوعيته بذلك الغزو المدمر الذي يستهدف دين الأمة وعقيدتها وفكرها وسلوكها من خلال تلك الوسائل، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي سميته "**الغزو الفكري عبر وسائل الإعلام المرئي وخطره على المجتمع**" وهو يهدف إلى:

١ – معرفة حقيقة الغزو الفكري الذي تتعرض له المجتمعات الإسلامية ومدى خطورته والمجالات التي يحاول النفوذ منها.

٢ – بيان ماهية تلك الوسائل المدروسة، مع مسح أنماط أستخدام المجتمع لها، وذلك بتحديد القنوات التي يفضلون مشاهدتها، ولغة تلك القنوات، والبرامج التي يتعرضون لها، والمواقع والصفحات التي يرتادونها، ومدة التعرض اليومية.

٣ – التنبيه إلى أبرز الأخطار التي تتضمنها تلك الوسائل، سواء أكانت عقدية أم ثقافية أم سلوكية أم اجتماعية، مع محاولة قياس حال أفراد المجتمع وتصوراتهم لتلك الأخطار.

٤ – عرض بعض الوسائل التي يمكن للمجتمع من خلالها مقاومة ذلك الغزو والحد من تأثيره.

وقد رأيت أن أقسمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على أهمية الموضوع وأهدافه وخطة البحث ومنهجه.

وأما المباحث: فهي كالتالي:

المبحث الأول: الغزو الفكري، ويشتمل على:

– مفهوم الغزو الفكري.

- خطورة الغزو الفكري.
- مجالات الغزو الفكري.

المبحث الثاني: وسائل الإعلام المرئي، ويشتمل على:

- المراد بوسائل الإعلام المرئي.
- القنوات الفضائية.
- الإنترنت.

المبحث الثالث: خطر وسائل الإعلام المرئي على المجتمع، ويشتمل:

- الخطر العقدي.
- الخطر الثقافي والعلمي.
- الخطر السلوكي والأخلاقي.
- الخطر الاجتماعي.

المبحث الرابع: وسائل مقاومة هذا الغزو.

وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أبرز ما توصلت إليه من نتائج خلال البحث.

وقد قمت في أثناء البحث بعمل استبانة وزعت على عينة عشوائية من أبناء المجتمع الكويتي، وكان الغرض منها:

١ - معرفة واقع المجتمع الكويتي واستخدامات أبنائه لتلك الوسائل.

٢ - استطلاع مدى علم أبناء المجتمع ووعيهم بتلك الأخطار.

٣ - قياس حال المجتمع الكويتي فيما يتعلق بالأخطار التي تحدثها تلك الوسائل.

٤ - محاولة معرفة آراء المجتمع عن الحلول الممكنة التي تحد من تأثير تلك الأخطار.

وبعد تحليل نتائج الاستبانة رأيت استخدام المنهج الوصفي لوصف وتحليل تلك البيانات والنتائج، محاولاً توظيفها لخدمة أهداف البحث، مع مقارنتها في بعض الأحيان بدراسات أخرى أجريت في مجتمعات مجاورة.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية:

عينة عشوائية من طلبة وطالبات جامعة الكويت، وعينة من رواد المقاهي، وعينة من موظفي بعض الوزارات الحكومية.

الحدود الزمانية:

الفصل الدراسي الأول للسنة الدراسية (٢٠٠٨ – ٢٠٠٩).

حجم العينة:

تم توزيع ما يقرب من (٨٠٠) استبانة في الأماكن السابقة بطريقة عشوائية.

المعالجة الإحصائية:

بعد التأكد من صحة قوائم الاستقصاء التي دوّنها أفراد العينة، وسلامة الترميز لجميع أسئلة القائمتين، جرى تحليل البيانات بالحاسب الآلي باستخدام برنامج (SPSS) للتحليل الإحصائي.

المبحث الأول
الغزو الفكري

مفهوم الغزو الفكري:

مصطلح الغزو الفكري من المصطلحات التي تتكون من كلمتين، هما: الغزو، والفكر، وإذا أردنا الحديث عن مفهوم هذا المصطلح فلابد أولاً أن نوضح معنى الكلمتين كل على حدة، ثم نخلص من ذلك إلى بيان مدلول المصطلح والمراد منه.

(الغزو) في اللغة: هو الطلب والقصد، يقال: غزاه يغزوه غزواً، أي: طلبه وقصده، وغزا العدو، أي: سار إلى قتالهم وانتهابهم، والغزو: الخروج إلى محاربة العدو[(١)].

والفكر هو: إعمال العقل، يقال: فَكَر في الأمر فكراً أي: أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وأفكر في الأمر: فَكَر فيه فهو مفكّر، وفكّر في الأمر: مبالغة في فَكَرَ.

والتفكير: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول[(٢)]. والمراد به هنا: كل ما ينسب إلى الفكر.

وإذا كان الغزو وقصد العدو وقتالهم لا يكون إلا في ساحات المعارك وباستخدام الأسلحة والوسائل العسكرية، فإن هذا يعني أن المصطلح له مدلول مجازي يراد به.

وقد كثر كلام العلماء والمفكرين في تحديد هذا المفهوم، فذكروا له عدة تعريفات يتعلق بعضها بالبعد الفكري لهذا المفهوم كقولهم: "الغزو الفكري هو:

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٩٠)، تاج العروس للزبيدي (١٥/ ٢٦٤) (٣٩/ ١٥٨).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٦٥)، تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١١٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٩٨).

كل فكرة أو معلومة تستهدف صراحة أو ضمناً تحطيم مقومات الأمة الإسلامية: العقدية والفكرية والثقافية والحضارية.."(١)

والبعض الآخر يتعلق بالبعد الشكلي للمفهوم، فيقال: يقصد بالغزو الفكري: "الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الأجنبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك".(٢)

وهذان التعريفان وغيرهما مما ذكره المفكرون والباحثون تعريفات متقاربة إلى حد ما، إذ يجمع أصحابها على أن المراد بالغزو الفكري هو: "محاربة الخصم ومحاولة القضاء عليه واستعماره واستعباده باستخدام طرق ووسائل غير عسكرية "كالفكرة والكلمة والرأي، والنظريات والشبهات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض وشدة الجدل ولدادة الخصومة، وتحريف الكلم عن مواضعه، وغير ذلك مما يقوم مقام السيف والصاروخ في أيدي الجنود، والفارق بينهما هو نفس الفارق بين وسائل وأساليب الغزو الفكري قديماً وحديثاً"(٣)

ويثير هذا المصطلح إشكالاً عند بعض دارسي آثار الثقافة الغربية في الواقع الإسلامي، إذ يقبله بعضهم ويعدونه حقيقة أصبحت واضحة للجميع لا يمكن طمسها ولا التغافل عنها، بل إنهم بذلوا جهدهم وصرفوا أوقاتهم وسخروا أقلامهم للتحذير منها وتبصير المجتمعات الإسلامية بخطرها، وفي المقابل يصرّ بعضهم الآخر على رفض هذا المصطلح والاعتراض عليه، بل ويزعم أنه من "المصطلحات الجديدة التي صاغها أو استنبطها مفكرو العالم الثالث؛ لكي يسوِّغوا بها تخلفهم وتبعيتهم المزمنة"(٤).

---

(١) تحديد مفهوم الغزو الثقافي. د.عبد الله التركي، مجلة التربية الإسلامية – العدد التاسع – جمادى الأولى (١٤١٠هـ) ص٥١.

(٢) واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ١٩٥.

(٣) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. د. عبد الستار فتح الله سعيد، بحث منشور ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ. ص١٧٩.

(٤) الغزو الثقافي الغربي الممهد والمتوافق مع الاستعمار. د. عماد حاتم ص ٦٦.

ويبالغ بعضهم فيرى أن استخدام هذا المصطلح دليل على قصور عقلي وخواء فكري لا أثر له في تفسير العلاقة بين الثقافات والأفكار، وهو في الحقيقة مصطلح عسكري ينطوي على معاني القهر والغلبة، وأما الاستيلاء الناجم عن فاعلية الفكر وسلطة النصوص فهو يشبه - في حد زعمه - استيلاء الجمال على الحواس والأفئدة.(١)

ولا شك أن هذا الطرح مبالغة في الانهزامية أمام تلك الأفكار والعقائد والأخلاق الدخيلة التي صاغتها عقول أولئك المستعمرين الغزاة وقصدوا بها محو الشخصية العربية الإسلامية، وتغيير عقائد الأمة الإسلامية وتبديل دينها، والحيلولة بينها وبين تاريخها وماضيها، بل إنه في الواقع تلبيس على الناس ودعاية شريرة لهذه الأفكار، إذ يصور أصحابه العدو اللدود للأمة في صورة الناصح الأمين الذي يريد تقدم الأمة وتطورها والقفز بها من مصاف الدول الفقيرة النامية والمجتمعات المتخلفة إلى مصاف الدول المتطورة والمجتمعات المتحضرة.

وأصحاب هذا الطرح وتلك الكتابات إنما ينطلقون من تصورهم لعالم اليوم باعتباره - رغم الحدود الدولية السياسية، والحواجز الجغرافية وبسبب التقدم الهائل في وسائل الاتصال - وطناً واحداً لحضارة واحدة يسمونها: "حضارة العصر"، أو "الحضارة العالمية"، أو "الحضارة الإنسانية"؛ فيتصورون أن الأمم والشعوب والقوميات مجرد مستويات في البناء الواحد لهذه الحضارة، ومن ثم فليس في هذا التصور حدود تميز أوطاناً متعددة لحضارات متميزة؛ ولهذا فإن عبور الفكر للحدود ليس فيه عندهم شبهة غزو ولا أثر عدوان.

أما مخالفوهم فإنهم يدعون إلى ضرورة احترام الحدود الثقافية والحضارية؛ لأن العالم في تصورهم أقرب ما يكون إلى منتدى عالمي لحضارات وثقافات متعددة تشترك أممها في عضويتها، وعليه فإن بينها ما هو مشترك لا تتغير حقائقه وقوانينه بتغير المعتقدات والمنطلقات الفكرية، مثلما

---

(١) انظر: غزو ثقافي أم فتوحات فكرية د. على حرب، مجلة معهد الإنماء العربي - بيروت - العدد: ٧٤، خريف ١٩٩٣م (ص٦٧)، وانظر - أيضاً - : الثقافة التلفزيونية سقوط النخبة وبروز الشعبي د.عبدالله الغذامي (ص٢١٤).

بينها من تمايز فكري واختلاف ثقافي ينفي الوحدة الحضارية ويقوض الثقافة العالمية المزعومة.[1]

وهذا التصور يؤيده ويشهد له واقع الشعوب والأمم في هذا العالم؛ ذلك أنه يظهر لكل ذي بصيرة أن الشعوب تختلف فيما بينها في الأديان والأخلاق والسلوكيات والأعراف والعادات والتقاليد، فما يعد مقبولا عند البعض قد يكون مرفوضاً عند البعض الآخر، بل إن ما يعده بعضهم من الأصول والثوابت التي لابد منها هو في الحقيقة عند البعض الآخر مما لا يجوز اعتقاده ولا التصديق به، وهذه الحقيقة هي من سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه ولهذا قال تعالى: ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم[2]

ولهذا فمازالت الأمم والشعوب وأصحاب الحضارات – على مرّ العصور والأزمان – يسعون جاهدين في المحافظة على حضارتهم ومعتقداتهم وثقافاتهم من التغيير والتبديل، سواء أكانت تلك المفاهيم حقة أم باطلة.

وإذا كان هذا هو دأب من كانت حضارته زائفة ودينه باطلاً، أو – في أقل الأحوال – اشتمل على حق وباطل وخطأ وصواب، فلا ريب أن أبناء الأمة الإسلامية هم أولى الناس بالمحافظة على دينهم وثقافتهم وحضارتهم، إذ دينهم هو الدين الحق الذي لا باطل فيه، وثقافتهم هي الثقافة السليمة الصحيحة، وحضارتهم هي الحضارة الإنسانية التي لم يشهد التاريخ نظيراً لها بشهادة من حاربها من أعدائها.

خطورته:

تتضمن العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات والثقافات الأخرى تاريخاً طويلاً يواكب ظهور رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وانتشار دعوته ودينه في الجزيرة العربية وخارجها، وقد حمل هذا التاريخ بين

---

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة د. محمد عمارة (٧ – ٩).

(٢) سورة هود، الآيتان: ١١٨ – ١١٩.

جنبيه بعداً صدامياً وتنازعاً عقدياً بين تلك الأطراف، والسبب في ذلك انتشار دعوة الإسلام في شتى أصقاع المعمورة ودخول الناس في دين الله سبحانه وتعالى أفواجاً، فشكّل هذا تهديداً صريحاً لنفوذ تلك الديانات وسلطانها، ففكّر أصحابها في مواجهة هذا الدين والوقوف في وجه انتشاره، إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك إذ سرعان ما توسعت حركة الفتوحات الإسلامية، وقامت دولة الإسلام قوية الأركان ثابتة البنيان، واستعصت على كل من أراد النيل منها بقوة السنان، وبقي هؤلاء الأعداء على عداوتهم للإسلام ودولته؛ فمنهم: من بقي على كفره، ومنهم: من تظاهر باعتناق الإسلام وأبطن الكفر، ثم أخذوا على عاتقهم تقويض بنيانه وإضعاف أركانه ببث الأفكار المعادية التي لا تتفق مع مبادئه جملة وتفصيلاً.

وأبرز أولئك الأعداء وأشدهم ضراوة وأكثرهم حقداً على الإسلام والمسلمين: اليهود والنصارى، وإن لم يكونوا وحدهم أعداء هذا الدين، إلا أن عداءهم كان أشد؛ ولهذا ما برح أولئك القوم يكيدون للإسلام وأهله أنواع المكايد، ويتربصون بهم الدوائر، ويحاربونهم بأنواع الحروب والأسلحة، واستمر هذا الصراع غير المتكافئ بين الفريقين، فلم يزد المسلمين إلا تمسكاً بدينهم وثباتاً عليه ويقيناً بالنصر والتمكين، ولم يزدد أولئك إلا حسرة وندامة، ويقيناً أنهم لن يتمكنوا من القضاء على الإسلام بهذه الطريقة، ولاسيما بعد هزيمتهم في حروبهم وحملاتهم الصليبية التي شنوها على المسلمين، وقد جاء ذلك صريحاً في وصية أحد قادتهم، هو "لويس التاسع" بعد أن أسره المسلمون وخرج من أسره، فقرر أن المسلمين لا يمكن الانتصار عليهم من خلال الحرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم من خلال السياسة"[(١)].

وكان هذا التوجيه وهذه الحادثة أحد الأسباب التي دعت أوروبا إلى البحث عن أسلوب آخر للسيطرة على المسلمين واستعمار بلادهم، فتوجهوا إلى ما

---

(١) دور المسلم في الحياة. د. توفيق الواعي (ص١٠٩) عن وثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية بباريس.

يسمى "الغزو الفكري" بدلاً من الغزو العسكري الذي لم يعد مجدياً في مقابل صبر المسلمين وشجاعتهم وتضحياتهم، وتكبد أولئك الأعداء خسائر كبيرة في الأرواح والأموال والعتاد، إلا أن هذا لا يعني أن هذه هي البداية الحقيقية لعملية "الغزو الفكري، فالغزو الفكري – كما مضى – استخدمه أعداء الإسلام منذ بداية دعوة الأنبياء إليه، بل إنه لا يكون غزو عسكري حتى يمهّد قبله أصحابه بغزو فكري يسهّل ما يقومون به من عمليات عسكرية، غير أننا يمكن أن نقول: إن اهتمام الغرب بهذا النوع من الغزو أصبح أكبر، لاسيما أنه قد تقرر عندهم أن آثار هذا الغزو أكبر وأنكى، وتكلفته أقل إذا ما قورن بالغزو العسكري.

وقد بذلت أوروبا جهوداً كبيرة في هذا الجانب لتحقيق الهيمنة على الأمة الإسلامية من خلال مراحل متعددة يمكن تلخيصها في التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة الإحساس الأوروبي بالقوة والشعور بالتفوق في مقابلة أمة شرقية دبّ الضعف في أوصالها، مع روح عدائية متجذرة لدى الأوروبيين من عهود الحملات الصليبية، وقد أفرز هذا الإحساس تطلّع الأوروبيين لمحاولة جعل الشرق تحت تأثيرهم، وفق خطط مرحلية ذات أمد طويل، ثم تلا ذلك مرحلة الاستكشاف وتكوين المعلومات.

المرحلة الثانية: مرحلة التنصير، وهي مرحلة يغلب عليها الاستشراق الذي صاحب فترة الحروب الصليبية، وتلاها مباشرة بدء الإرساليات التنصيرية المكثفة بأساليب عملية غير مباشرة وإمكانات طائلة تتستر تحت دعوى الخدمات الطبية والأعمال الإنسانية للوصول إلى أهدافها الدينية والسياسية والثقافية.

المرحلة الثالثة: هدم الشخصية الإسلامية للأمة؛ وذلك بمحاولات الهجوم على التاريخ الإسلامي وطمسه وتشويهه، واعتبار الدين الإسلامي شيئاً من الماضي يرتبط بالتخلف، وإفراغه من محتواه الحقيقي المستمد من كونه عقيدة ربانية تنظم الحياة البشرية، وإفقاد الإنسان المسلم أهمية تجاربه التاريخية في التعامل مع الظواهر المعاصرة في حياته.

المرحلة الرابعة: ممارسة الإخضاع العام للمسلمين الذي بدأ بالاحتواء الأوروبي للأمة وتقسيمها على ضوء النتائج التي حققتها الجهود الأوروبية أولاً، والمصالح المتطورة لأوروبا ثانياً، أو بعبارة أخرى: الاستعمار الأوروبي لبلاد المسلمين واحتلالها عسكرياً.

المرحلة الخامسة: تعزيز نتائج السياسة الأوروبية بما يضمن استمرار حالة الانخذال والتراجع، وذلك بمواصلة الهدم والتدليل على العجز الذاتي بإفشال أي توجه إيجابي لتجاوز المرحلة القائمة إلى مستوى أحسن، وهو وضع يهيمن فيه المستعمر القديم مجدداً على أوضاع البلاد المستقلة، ويضمن تبعيتها بما يكفل بقاء تنظيماته، وحضور خبراته، واستخدام أدواته، والحاجة إلى منجزاته؛ لتبقى وارثاً لفلول جنده ووسائل هيمنته(١).

وهكذا فقد تقرر عند هؤلاء الأعداء أنه يمكنهم من خلال هذا النوع من الغزو أن يحققوا ما يريدون تحقيقه من أهداف دعتهم لتحريك جيوشهم وأساطيلهم وقواتهم لغزو المسلمين، بل إن هذا الغزو يتميز عنه "بالشمول والامتداد"؛ فهو حرب دائمة ودائبة لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شعب الحياة الإنسانية جميعاً، وتسبق حروب السلاح وتواكبها، ثم تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشلّ إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين، وتنقص تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه، أو يصبح امتداداً ذليلاً لهم، بل ربما تبلغ حداً من الإتقان يصل بها إلى أغوار النفس، فتقلب معاييرها ومفاهيمها وتشكل لها أنماطاً جديدة في السلوك والأخلاق والأذواق إلى الدرجة التي تجعل المهزوم يفخر فيها بتبعيته، ويراها شرفاً حليقاً بالرضاء والشكران".(٢)

---

(١) انظر: اتجاهات الغزو الثقافي في الخليج العربي والموقف المطلوب د. نزار عبد اللطيف الحريثي (ص٥٢ – ٦٧).

(٢) الغزو الفكري التيارات المعادية للإسلام د. عبد الستار فتح الله سعيد ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سنة ١٣٩٦هـ) ص ١٨٠.

ومن هنا فإنه يمكننا أن نقول: إن الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري، وذلك لأمور:

١ - أن الغزو العسكري يستهدف الأرض ونهب ثرواتها، أما الغزو الفكري فإنه يستهدف الإنسان بعقله وفكره وعقيدته ولغته وتاريخه وحضارته، ويسعى إلى تشويهها وسلخ الإنسان عنها.

٢ - أن الغزو العسكري يستنهض الشعوب للمقاومة، فيهبّ الجميع للدفاع ورد هذا العدوان، بخلاف الغزو الفكري الذي يسري في الأمة دون شعور منها؛ ولهذا يلاحظ أن الأمة المهزومة فكرياً تنقاد إلى غازيها عن طواعية، بغير أن تحاول أن تبدي أي نوع من أنواع المقاومة، وهذا هو الذي يريده عدوها.

٣ - أن الغزو العسكري يقتصر على مجموعة من الأفراد أو على جيل بأسره، أما الغزو الفكري فإن خطره يتعدى إلى أجيال متعاقبة.

٤ - أن الغزو الفكري ليس وارداً من جهة واحدة، بل من عدة جهات من الشرق والغرب، بخلاف الغزو العسكري، وهذا يعني أنه يفتح أمام الأمة عدة جبهات، ويجعل المعركة أكثر تعقيداً.

وإذا كان هذا الغزو بهذه الخطورة فإنه يجب على الأمة أن تعي هذا، وأن تهبّ جميعها لمواجهته كما تواجه أي عدوان عسكري عليها بل أشد، وهذا يعني أن عليها أن تسخر كافة إمكاناتها لتوعية الناس بخطورته، ولتحصينهم ضد وسائله وأسلحته التي يستخدمها في مواجهاته.

مجالاته:

بعد أن اتضح لنا أن الغزو الفكري هو محاولة من الغرب لإخضاع هذه الأمة واستعبادها واستنزاف ثرواتها ومقدراتها، من خلال صرف المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، وتشويه تاريخهم وماضيهم، وتغيير عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم وأنماط حياتهم، فلابد أن نعلم - أيضاً - أن هؤلاء الأعداء بذلوا جهودهم تلك من خلال مجالات شتى، سعوا من خلالها لنشر أفكارهم وبث

سمومهم، فكان لهم "في كل مجالات الحياة الإنسانية في عالمنا الإسلامي الكبير نشاط وكيد وتدبير"(١) وسنعرض فيما يلي أهم تلك المجالات بشيء من الاختصار:

أولاً: مجال الدين:

لقد أدرك أعداء الإسلام – منذ القدم – أن سرّ قوة المسلمين وتفوقهم وانتصارهم يكمن في تمسكهم بدينهم، ولهذا سعوا – ومازالوا – لهدم أصول الدين الإسلامي، وإبعاد الناس عنه، وإضعاف هيبته وقدسيته في قلوبهم، ومازال الشعور نفسه ملازماً لأعداء الله سبحانه وتعالى وإن تباعدت الأزمان والأوقات واختلفت الوسائل والأساليب؛ ذلك أنهم ما زالوا يشعرون أن الإسلام هو العائق الوحيد أمام أطماعهم الاستعمارية، يقول أحدهم "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي(٢).

ويقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: "مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق"(٣)

ومن أجل ذلك شنّوا حرباً شرسة على الإسلام والمسلمين، بثّوا من خلالها شبهاتهم ضد الدين الإسلامي وكل ما يتعلق به: كالقرآن، والرسول صلى الله عليه وسلم، والعقيدة، والتشريعات الإسلامية، محاولين بذلك ضرب الإسلام عقيدة وشريعة، والقضاء عليه، وتشويه مبادئه في عقول المسلمين، ونشر العقائد الباطلة والنظريات الإلحادية المتناقصة والمخالفة لأسس الإسلام وتعاليمه وشرائعه في مختلف المجالات.

ثانياً: مجال التعليم:

هذا المجال في الحقيقة من أهم المجالات وأخطرها؛ وذلك لأنه لو استطاع

---

(١) الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر د. على عبد الحليم محمود (ص ١٢٥).
(٢) لورانس براون، انظر التبشير والاستعمار، د. عمر فروخ، د. مصطفى الخالدي، ص ١٨٤.
(٣) الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد، ص٣٩.

الأعداء السيطرة عليه فإنهم يكونون بذلك قد سيطروا على حاضر الأمة ومستقبلها، وقد أدرك الأعداء خطورة هذا المجال، ولذلك تنادوا بينهم بضرورة صبغ هذا التعليم بصبغة غربية، يسعون من خلالها لتركيع الأمم ومسخ الشعوب، وردهم عن دينهم، وإبعادهم عن عقيدتهم وأخلاقهم.

يقول المستشرق "جب" "إن التعليم هو أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل على الاستغراب، وإن انتشار التعليم (أي على الطريقة الغربية) سيعمل بازدياد في الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه، ولاسيما لاقترانه بالعوامل التعليمية الأخرى التي تدفع الشعوب الإسلامية في نفس الطريق"(١)

وبما أن الثقافة ليست علوماً ومعارف ونظريات فحسب، بل مناهج فكر وخلق وسلوك تصطبغ حياة الأمة بصبغتها في شتى دروب حياتها، فإن الغزو الفكري استطاع من خلال هذا المجال أن ينشر العديد من الأفكار الغربية بين أبناء المسلمين وفي مجتمعاتهم، بل إنه – للأسف – من خلال هذه المناهج الغربية وتلك الأفكار الدخيلة التي شوهت علوم المسلمين وثقافتهم وأخلاقهم، وأوهمت الناس بأن التطور والتمدن والتحضر لن تكون إلا برفض تلك الموروثات، واعتناق ما يمليه عليهم الغرب من مفاهيم، ورافق ذلك انبهار كثير من أبناء المسلمين بما عليه الغرب من تقدم وتطور وتكنولوجيا– استطاعوا بذلك أن يغرسوا في نفوس الكثير من أبناء المسلمين الشعور بالتبعية الثقافية، واحترام فكر الغرب وحضارة الغربيين وثقافتهم، والشعور بنقص الفكر الإسلامي واحتقار الحضارة والثقافة الإسلامية؛ ولهذا لا نستغرب إذا رأينا الكثير من المتعلمين والمفكرين يحملون راية الاستشراق ويدعون إليه، بل بلغ الأمر ببعضهم أنه لا يأخذ المعلومات الدينية والأحكام الشرعية إلا من طريق هؤلاء المستشرقين.

ثالثاً: مجال الإعلام:

إذا كان التعليم من أخطر المجالات التي اتخذها الخصم وسيلة لإزالة

---

(١) من التبعية إلى الأصالة لأنور الجندي (ص٨١).

مظاهر الحياة الإسلامية عند المسلمين، فإن الإعلام - في نظري - هو أخطر تلك المجالات وأشدها فتكاً وتأثيراً في الأمة، والسبب في ذلك: أن وسائل الإعلام بعد تطورها الملحوظ في السنوات الأخيرة قضت على عزلة الناس، وأصبح العالم كله كالقرية الصغيرة ينتقل فيها الخبر والصورة والمادة الإعلامية من مكان إلى مكان في اللحظة الواحدة؛ يتخطى المسافات ويخترق الحدود بكل يسر وسهولة، فما يعرض في أقاصي الغرب يمكن للمسلم الذي يعيش في قصره أو بيته أو في مزرعته بل حتى في خيمته في أقصى الشرق أن يراه في الوقت نفسه، فتمكنت ثورة الاتصال الإعلامية من الوصول إلى ملايين الناس في الوقت ذاته، وغدت الدنيا كلها في متناول بصر الإنسان وسمعه. ثم إنه إذا كان التعليم يقتصر على قطاع الطلبة، فإن الإعلام يمتد إلى جميع القطاعات متعلمين وغير متعلمين، راغبين وغير راغبين، أضف إلى ذلك أن الإعلام ووسائله مرغوبة ومحببة في نفوس الناس، فهم في غالب أوقاتهم يستمتعون بما يعرض فيها من مواد، بخلاف التعليم فإنه ثقيل على النفس غير مرغوب فيه لدى فئات كثيرة من المجتمعات الإسلامية، ولا شك في أن درجة التأثر في الحالة الأولى أكبر بكثير من الحالة الثانية.

وقد فطن الأعداء لخطورة هذا المجال ولاحظوا انجذاب الجماهير إليه فكرسوا نشاطهم وبذلوا قصارى ما يستطيعون من جهد في استغلاله لبث ما يريدون من أفكار، ويشتدّ الخطب إذا علمنا أن أغلب وسائل الإعلام العالمية – من وكالات للأنباء ومحطات وقنوات وإذاعات وصحف ودور للنشر والإعلان والطباعة - تخضع للسيطرة الغربية والصهيونية العالمية(١).

وقد جاءت هذه التوصية في إحدى قرارات البروتوكول الثاني عشر من بروتوكولات حكماء صهيون، إذ ورد فيه: "إن القنوات (أي وسائل الإعلام)، التي يجد فيها الفكر الإنساني ترجماناً له يجب أن تكون خاضعة في أيدينا".(٢) وهكذا استغل أعداء الإسلام الإعلام بجميع أنواعه:

(١) انظر كتاب: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية لزياد أبو غنيمة.
(٢) المرجع السابق (ص ١٣).

- الإعلام المكتوب ويشمل: الصحف والكتب، والقصص، والروايات، والمجلات، ودواوين الشعر والأدب.
- الإعلام المسموع ويشمل: الإذاعات، ووكالات الأنباء.
- الإعلام المرئي ويشمل: التلفاز والقنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت.

استغلوا كل هذه الوسائل في حرب الإسلام والكيد لأهله، وأخطر هذه الأنواع النوع الثالث (الإعلام المرئي)، ولهذا سنتناوله بالبحث في الصفحات القادمة، وسنبين أثره وخطره على المجتمعات الإسلامية.

المبحث الثاني
وسائل الإعلام المرئي

المراد بوسائل الإعلام المرئي:

وسائل الإعلام هي الأدوات التي تُنقل الرسالة الإعلامية من خلالها، وقد عرّفها بعض الباحثين بأنها: "مجموعة المواد الأدبية والعلمية والفنية المؤدية للاتصال الجماعي بالناس بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الأدوات التي تنقلها أو تعبر عنها، مثل: الصحافة، والإذاعة، والتليفزيون، ووكالات الأنباء، والمعارض، والمؤتمرات، والزيارات الرسمية، وغير الرسمية"[(١)].

وسبق أن بيّنا أنها أنواع، فمنها: وسائل مطبوعة، ومنها وسائل سمعية، ومنها: وسائل مرئية.

ويمكننا القول: بأن وسائل الإعلام المرئي هي الوسائل التي تعتمد على حاسة البصر، أو على حاستي السمع والبصر معاً في تلقي رسالتها.

والاتصال عن طريق المرئيات ذو تأثير كبير في نقل الأفكار، ويرى العلماء أن قدرة المرئيات على التأثير بحاسة البصر تفوق قدرة المسموعات على التأثير بحاسة السمع بما يزيد على خمسة وعشرين ضعفاً، ويقولون: إن الرؤية تشكل ٨٣٪ من المعلومات المكتسبة[(٢)].

وهذا يعني أن حاسة البصر تفوق جميع حواس الإنسان الأخرى في اكتساب المعلومات بنسبة ١:٤ تقريباً، ومن المعروف أن حاسة البصر هي أسرع الحواس جميعاً في تسجيل الصورة الذهنية في العقل، ولا شك في أنه إذا اجتمعت حاسّتا السمع والبصر في وقت واحد كانتا أشد تأثيراً من وسائل الإعلام الأخرى، والسبب في ذلك أن لحواس الإنسان قدرات متكاملة، وكل حاسة لديها قدرة ذاتية متخصصة، فإذا ما اجتمعت حاسّتان فأكثر فإن ذلك

---

(١) أثر وسائل الإعلام على الطفل، د. صالح دياب هندي (ص ١٨).

(٢) الأسس العلمية للعلاقات العامة، د. علي عجوة، (ص ٣٢).

يعني اجتماع أكثر من قدرة متخصصة يتم التنسيق بينها؛ لتعطي مفعولاً أكبر من الانفراد بحاسة واحدة ذات قدرة مفردة.

ولهذا كان أثر هذه الوسائل وتشمل: (التلفاز والفيديو والسينما والمسرح والحاسوب) أكبر من أثر غيرها، وهذا هو الذي جعل قادة الإعلام في العالم يولون هذه الوسائل جلّ اهتماماتهم، ويسعون في تطويرها، ويحرصون على انتشارها في شتى أنحاء العالم.

القنوات الفضائية:

تبين لنا مما سبق كثرة القنوات الفضائية وانتشارها بين الناس، ولا شك في أن هذا الانتشار كان له أثر وتبعات في حياة الناس وثقافتهم ودينهم، وقبل أن نشرع في بيان ذلك الأثر - لاسيما في المجتمعات الإسلامية - يحسن بنا بيان ماهية هذه القنوات بشيء من الاختصار.

القنوات الفضائية: هي قنوات تلفزيونية تبث من خلال الأقمار الصناعية، ويكون هذا البث مباشراً من بلد المرسل إلى القمر، ومن ثم إلى الأرض حيث تستقبل هذه الإرسالات المباشرة بغير تدخل من محطات الاستقبال الأرضية الكبيرة.

وتقوم فكرتها على أساس "إرسال الإشارات إلى القمر الصناعي الذي يقوم بتقويتها آلاف أو ملايين المرات ثم يعيد بثها لا إلى المحطات الأرضية، ولكن إلى المنازل مباشرة عبر هوائيات أو أطباق صغيرة"(١).

والفرق بين البث العادي والبث الفضائي من خلال الأقمار الصناعية: أن الأول "يتم البث فيه من خلال العرض على شاشات التلفاز المحلية عبر محطات الأقمار الأرضية الموجودة في هذه الدول، مما يتيح لمحطات التلفاز التصرف في إلغاء بعض الصور أو المشاهد غير المرغوب فيها، أي أن عملية

---

(١) الأقمار الصناعية ووظائفها الاتصالية، د. راسم محمد الجمال (ص ١٩٧).

تبادل الأخبار أو البرامج كانت تتم عبر محطات الأقمار الأرضية وليس مباشرة عبر الأقمار الصناعية "(١).

أما البث الفضائي فيكون التقاطه مباشراً بواسطة أطباق الاستقبال في المنطقة التي يغطيها القمر الصناعي، فهو يختلف عن الأنواع الأخرى للبث التلفزيوني من الأقمار الصناعية في إمكان الاستقبال المباشر بدلاً من الاستقبال عن طريق محطات أرضية كبيرة ثم إعادة البث إلى وحدات الاستقبال المنزلية كما هو الحال في البث الفضائي المستقل عن طريق (الكيبل) أو عبر المحطات الأرضية الكبيرة التي تستخدم الأقمار الصناعية بهدف توسيع رقعة البث وتحسين نوعية التوزيع وبخاصة في الدول التي لا تتمكن محطاتها الأرضية من تغطية مساحاتها الشاسعة.

وكما هو واضح فإن هذه القنوات تغلبت على الكثير من العوائق كالزمان والمكان والمسافة التي كانت تبطئ من عملية التغيير الثقافي والاجتماعي، لاسيما في الدول العربية، إذ أن موقعها الجغرافي أسهم في جعلها تتعرض لعدد كبير من القنوات الفضائية من بعض دول آسيا، وأمريكا، والدول الغربية دون حاجة إلى هوائيات إضافية.

واقع المجتمع مع القنوات الفضائية:

قبل الحديث عن أثر الفضائيات في المجتمع وكيفية ذلك التأثير ومداه، لابد أن نعرف أولاً ما واقع المجتمع مع تلك القنوات، أي أنه ينبغي لنا أن نعرف ما نوع الفضائيات التي يرغب أفراد المجتمع بمتابعتها، وما لغتها، ومقدار الوقت الذي يقضونه أمام شاشة التلفاز. وقد عرضت هذه الأسئلة وغيرها على العينة العشوائية التي أجريت عليها الدراسة فكانت الإجابات كالتالي:

١ – بسؤال عينة الدراسة عن نوع الفضائيات التي تفضل مشاهدتها، اتضح

(١) الإعلام، مفاهيم، د. على النجعي (ص ٣٢٢).

لنا أن ٣٣,٧٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون مشاهدة الأفلام وهم الفئة الكبرى من أفراد عينة الدراسة، في حين أن ٢٦,٧٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون مشاهدة الفضائيات الرياضية، و١٨,٩٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون مشاهدة الفضائيات الإخبارية، و١٣,١٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون مشاهدة الفضائيات الوثائقية، وأما المجموعة المتبقية وهي ٧,٦٪ من أفراد عينة الدراسة فإنهم يفضلون مشاهدة أنواع أخرى من الفضائيات غير ما ذكر.

٢ - وبسؤال عينة الدراسة عن لغة الفضائية التي تفضل متابعتها، كانت الإجابة كالتالي: ٦١,٩٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون مشاهدة الفضائيات العربية، في حين أن ٣٠,٩٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون مشاهدة الفضائيات الفرنسية، وأما المجموعة المتبقية وهم ٢,٨٪ فإنها تفضل مشاهدة فضائيات أخرى غير ما ذكر.

٣ - وأما عن الوقت الذي يُقضى في متابعة تلك القنوات فقد كانت نتيجة الدراسة كالتالي:

عدد الساعات	النسبة
أقل من ساعتين	٥٥,٢٪
من ٢-٤ ساعات	٣٦,٢٪
من ٤-٦ ساعات	٧,٩٪
من ٨-١٢ ساعة	٠,٦٪

الإنترنت:

شبكة الانترنت هي: شبكة دولية فسيحة تسمح لكافة أنواع الحاسبات بالمشاركة في الخدمات والاتصالات بشكل مباشر كما لو كانت كلها حاسباً واحداً[١].

(١) جرائم الإنترنت لوضاح الحمود ونشأت المجالي (ص ٢٥).

وهذا يعني أنه يمكن لأي شخص متصل بالإنترنت أن يتجوّل في هذه الشبكة، وأن يحصل على جميع المعلومات المتوافرة ضمنها، كما أن هذه الشبكة تتيح لملايين الأشخاص الاتصال بعضهم ببعض عبر الفضاء وتبادل المعلومات والرسائل فيما بينهم.

ويمكن الوصول إليها – في أي مكان من العالم – عن طريق الاشتراك في تلك الخدمة لدى إحدى شركات الاتصالات، ولا يلزم سوى تأمين حاسب آلي مزود بخط هاتف.

وهذه الشبكة على الرغم من أنها نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية إلا أنها لا تعود ملكيتها لأحد، سواء أكان شخصاً أو هيئة بعينها، وإن كان ثمة من يديرها ويتحكم في المعايير الفنية الناظمة لها مثل جمعية الإنترنت (society Internet)، وتنحصر مهمة الجمعية في تأمين التنسيق والتعاون بين أطراف الشبكة، ورسم ملامح واتجاهات تطورها في المستقبل، بالإضافة إلى قسم هندسة الإنترنت الذي يهتم بسن الضوابط المعيارية للشبكة، ويقوم على ذلك فريق من المهندسين يعملون على تطوير الشبكة وتوسيع نطاق خدمتها[١].

وتتمتع هذه الشبكة بالعديد من المميزات والإيجابيات التي جعلت منها ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها حتى عند من يظهر له ما فيها من سلبيات وأخطار.

ومع هذا فقد كان لبعضهم موقف سلبي منها، فأخذ يدعو إلى مقاطعتها، وهذا الموقف في الحقيقة "موقف نظري وخيالي، قد يتمكن منه بعض الأفراد؛ ولكن هذه الشبكة قد فرضت نفسها ووجودها، وتُعدُّ منعطفاً هاماً في عالم العلوم والثقافة والاتصال والتكنولوجيا، والموقف السلبي يعني أن نعيش في معزل عن حقل غنيّ بالعطاء العلمي والثقافي، ويعني في الوقت ذاته ترك هذه الشبكة للآخرين يستخدمونها بلا توجيه ولأهداف سيئة، ولا يجدون رداً

---

(١) انظر: أبرز المواقع التنصيرية على شبكة المعلومات العالمية. لإنعام بنت محمد عقيل (ص ١٨) عن كتاب من قضايا الانترنت لحامد دياب (ص ٦١).

لإساءاتهم وحربهم، وسيكون البث المعادي من الشبكة أقوى عندئذ من بقية الأنشطة العلمية التي نعتمدها، وأجدى من المنابر التي نعتليها "(١).

وقد تطورت هذه الشبكة في السنوات الأخيرة تطوراً ملحوظاً، نتج معه تحوّل حضاري سببه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي أدخلت المجتمع العالمي مرحلة جديدة بسبب هذا التطور والانتشار وقد كان لهذا التطور أسباب يمكن إجمالها فيما يلي:

١ - الثورة في مجال الاتصالات.

٢ - تحول الاقتصاد إلى العالمية، مثل ربط أسواق المال والبورصات العالمية.

٣ - الاتجاه نحو المشاركة في مصادر المعلومات بين المكتبات ومراكز المعلومات.

٤ - انتشار أجهزة الحاسبات الآلية الشخصية لدى الأفراد، وسهولة الاتصال بشبكة الإنترنت.

٥ - الإقبال المتزايد على استخدام التراسل الإلكتروني الذي تتيحه الشبكة.

وقد كانت هذه الأمور وغيرها سبباً في زيادة عدد مستخدمي هذه الشبكة، إذ تشير دراسة حديثة إلى أن عدد مستخدمي هذه الشركة هو مليار مستخدم، ومن المرجّح تضاعف هذا العدد خلال السنوات المقبلة، ويرى د. حسن عماد وكيل كلية الإعلام بالقاهرة أن العدد الحقيقي لمستخدمي هذه الشبكة هو مليار ونصف، ويرجع سبب هذا التوقع إلى استخدام الإنترنت بشكل جماعي عند بعضهم(٢).

وهذا العدد المهول وما يرافقه من عدد كبير جداً للمواقع والصفحات الإلكترونية يعني أننا نتعامل مع عالم آخر مليء بالفوائد والإيجابيات والأخطار

---

(١) الإنترنت من وجهة نظر إسلامية لمحمد البوطي، مجلة المجمع الفقهي (العدد ١٠ - السنة الثامنة ١٤١٧هـ) (ص ٢٨٣).

(٢) تحقيق إخباري قامت به قناة العربية الإخبارية بتاريخ ٢١ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/١/٢٤م تخلله مقابلة مباشرة مع د. حسن عماد.

والسلبيات، إذ كل مستخدم من هؤلاء المستخدمين يحمل ديناً وفكراً وثقافة يسعى في كثير من الأحيان إلى نشرها والدفاع عنها من خلال هذه الشبكة، كما أن هذه المواقع والصفحات تعبر دائماً عن ثقافة وفكر من أنشأها وقام عليها؛ ولهذا كانت العهدة على العلماء والقادة والمفكرين والدعاة والمثقفين كبيرة جداً في توعية الناس بالطريقة المثلى التي تجعلهم يستفيدون من هذه الشبكة، وفي الوقت ذاته يكونون في غاية الحذر مما يعرض فيها من أخطار وسلبيات.

واقع المجتمع مع الشبكة العالمية (الإنترنت):

اتضح من خلال الدراسة التي قمنا بها أن جميع أفرادها كانوا يستخدمون شبكة الإنترنت، وهذا أمر متوقع ولاسيما بعد الحاجة الماسة إلى هذه الشبكة في كثير من الأمور، وانتشارها انتشاراً كبيراً بين أفراد المجتمع، إلا أن نوعية الاستخدام والمواقع المفضلة التي يزورها أفراد العينة والوقت الذي يقضونه أمام تلك الشاشات كان مختلفاً ومتفاوتاً من مجموعة إلى مجموعة ومن شخص لآخر، وتفصيل ذلك كما يلي:

٤٧,٢٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يستخدمون هذه الشبكة للبحث العلمي، وهم الفئة الكبرى من أفراد عينة الدراسة، في حين أن ١٧,٩٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يستخدمونها لزيادة الثقافة، في مقابل ١٧,٢٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يقصدون باستخدامهم لها التعرف على الثقافات الأخرى، بينما ١٠٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يستخدمونها للمتعة والتسلية، وأما ٤,٩٪ من أجمالي أفراد عينة الدراسة فإنهم يستخدمونها لقضاء وقت الفراغ الزائد، كما أن ٢,٩٪ من عينة الدراسة يستخدمونها للتعرف على الأصدقاء.

وأما عن المواقع فقد ظهر لنا من خلال الدراسة أن ٤٦,٣٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة كان يرتادون المواقع العلمية، في حين أن ٣٠,٩٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة كانت أكثر المواقع التي يدخلونها المواقع العامة، في

مقابل ١٢,٤٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة تعوّدوا على دخول المواقع الفكرية، بينما ٤,٩٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون المواقع السياسية، أما المواقع الدينية: فقد كان نصيبها ٢,٨٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة، كما أن مواقع وغرف المحادثة كان نصيبها – أيضاً – ٢,٨٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة.

وأما الوقت التي تقضيه تلك الشريحة أمام شاشات الحاسب الآلي فيوضحه الجدول التالي:

عدد الساعات	النسبة
أقـل من ساعتين	٣٩,٣٪
من ٢–٤ ساعات	٤٤,٤٪
من ٤–٦ ساعات	١٥,٤٪
من ٨–١٢ ساعة	٠,٩٪

ولعل مما يجدر التنبيه إليه – هنا – أن عدداً ليس بالقليل من أفراد المجتمع لكثرة دخوله لتلك الشبكة وولعه بما يعرض فيها صار يدمن الدخول إليها، وهذا ما دفعنا إلى توجيه السؤال التالي لأفراد العينة التي أجريت عليها الدراسة:

هل يمكن أن تصنف نفسك مدمناً للإنترنت؟

وقد كانت الإجابة في الواقع مذهلة وخطيرة في الوقت نفسه، إذ إن ٢٣,٧٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يصنفون أنفسهم مدمني إنترنت، كما أن ١٩,٢٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يصنفون أنفسهم مدمني إنترنت إلى حد ما، في مقابل ٥٧,١٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة لا يصنفون أنفسهم مدمنين لتلك الشبكة.

لعل الأرقام والنسب والنتائج السابقة وضحت لنا بشكل جلي واقع المجتمع ونوعية تعامله مع هذه الشبكة.

المبحث الثالث
خطر وسائل الإعلام المرئي على المجتمع

قبل الكلام عن أخطار وسائل الإعلام المرئي على المجتمعات الإسلامية يحسن بنا التنبيه إلى أننا يجب أن نفرق بين القنوات الفضائية والشبكة الإلكترونية باعتبارها وسائل اتصال عصرية متاحة للاستخدام، وبين واقع استخدامات تلك الوسائل.

وهذا يعني أن تلك الوسائل هي في حقيقة الأمر سلاح ذو حدين؛ فالحكم عليها مرتبط بطبيعة استخدامها، والمراد - هنا - بيان أننا لا نقصد أن تلك الوسائل لا تشتمل إلا على أمور سلبية تستهدف بها المجتمعات الإسلامية، وإنما المقصود: أن هذه الوسائل في حقيقة الحال لها إمكاناتها الواسعة في الانتشار والجذب باعتبار أنها أدوات الاتصال الكونية الأولى التي لم يعد بإمكاننا الاستغناء عنها، كما أن لها قدرة كبيرة على التأثير في الأفراد والجماعات - وإن كان ذلك التأثير مرتبطًا بعوامل أخرى -، وقد أظهرت الدراسة التي أجريناها أن نسبة ٦٣,٨٪ من أفراد عينة الدراسة يتأثرون بما يعرض في القنوات الفضائية التي يشاهدونها، في حين يتأثر ٤٩,٢٪ من أفراد عينة الدراسة بما يعرض في المواقع الإلكترونية في شبكة الإنترنت.

وهذه النسب لا شك في أنها كبيرة، إذ إن أكثر من نصف عينة الدراسة أقروا أنهم يتأثرون بما يعرض في تلك الوسائل من مواد، وأعتقد أن الجزء الآخر من العينة هم ممن تأثر - أيضاً - بتلك الوسائل إلا أنهم قد لا يشعرون بذلك التأثر.

وإذا نظرنا إلى واقع تلك القنوات والمواقع نجد أن جلّها يحمل ثقافة وفكراً وعقيدة تخالف ما عليه المسلمون(١)، وهذا يعني أن تلك التأثيرات هي في

---

(١) انظر: ما تقدم.

غالبها تأثيرات وأخطار سلبية، تتمثل في الأخطار العقدية والثقافية والاجتماعية والسلوكية.

ولقد أُجري العديد من الدراسات على الصعيدين الوطني والدولي وتبين منها كثرة المخاطر الجسيمة التي قد تنجم عن الوضع الاتصالي الكوني الجديد التي تتمثل بوجه خاص في تسطيح الحضارة الكونية، والقضاء تدريجياً على مكونات التنوع فيها بطمس الخصوصيات المميزة للثقافات الوطنية، ومحو معالم الذاتية الحضارية التي يختص بها كل شعب، ولقد كان من بوادر الأزمة التي نجمت عن هذا الوضع أن هزت ثقة الشباب في حاضره هزاً، ودكت أسس إيمانه بأمجاده الماضية دكاً[١].

وإذا كانت هذه الوسائل بهذه الدرجة من الخطورة، فإنه من الواجب التنبيه على ما تشتمل عليه من أخطار وسلبيات، وفيما يلي ذكر بعضها:

الخطر العقدي:

هو أول الأخطار وأشدها فتكاً بالأمة الإسلامية، فقد تبين للأعداء أن العقائد تقف سدوداً بين الأمم وبين الأفكار الوافدة والمذاهب المقتحمة، وتعطي أعماقاً للصروح والمجتمعات والأفراد، كما تمنح استقراراً وثباتاً للإنسان في الحياة، وأنه بتغيرها وتشكيك الناس فيها تتخلف تلك الأمم عن غذائها الروحي وعمقها الإيماني، وتكون فريسة سهلة لعدوها، ولهذا سعوا جاهدين في تغيير عقيدة المسلمين وتشكيكهم فيها من خلال وسائل الإعلام المختلفة، لاسيما المرئي منها.

يدلّ لهذا ما جاء في دراسة لمنظمة اليونسكو جاء فيها: "إن إدخال وسائل إعلام جديدة وخاصة التليفزيون في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين، وممارسات حضارية كرسها الزمن"[٢].

---

(١) انظر: البث المباشر التحدي الجديد عبد الرحمن إبراهيم عسيري (ص ٧٩).

(٢) انظر: البث المباشر حقائق وأرقام، د. ناصر العمر (ص ٧٣).

فالتشكيك العقدي في واقع الحال هدف تغريبـي قديم، أصبحت تدعمه التكنولوجيا الاتصالية الحديثة. ويمكن إجمال صور تلك الأخطار في النقاط التالية:

- تشويه الدين الإسلامي والطعن في مصادره الأصلية ورموزه.

حرص أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن غيرهم ممن قد يتكلم أحياناً بلساننا ويصلي إلى قبلتنا على تشويه صورة الإسلام في نفوس الناس والطعن فيه وفي المتمسكين به، وذلك لما رأوا من انتشاره في أصقاع المعمورة ودخول الناس فيه أفواجاً، فرأوا أنه يمثل لهم ولأديانهم ومصالحهم خطراً عظيماً، فأرادوا صد الناس عنه ومنعهم من الدخول فيه والاقتناع به، فأخذوا يشوهون صورة الدين الإسلامي في أعين الناس وأذهانهم، واستغلوا وسائل الاتصال والإعلام الحديثة، لاسيما القنوات الفضائية والشبكة العالمية (الإنترنت)، في نشر أفكارهم وسمومهم.

ولهذا نجد أنهم كثيراً ما يصورون الدين الإسلامي بأنه دين القتل والتدمير والتفجير، ويزعمون أنه لم ينتشر أصلاً إلا بالسيف والقتل، وأنه السبب الرئيس في تخلف المسلمين عن ركب الدول المتقدمة، وأنه متى تخلى المسلمون عن دينهم وتراثهم فإنهم سيلحقون بذلك الركب، ولهذا دأبوا على وصفه ووصف أهله بأوصاف منفرة تدل على المعاني السابقة كقولهم: "الرجعية"، أو "الأصولية"، و"الرجعيون"، أو "الأصوليون"، أو "الإرهابيون".

وإذا كانت تلك الأفكار والآراء والشبهات والطعون تبث من خلال القنوات الفضائية الغربية، والمواقع الإلكترونية اليهودية أو النصرانية فإننا لا نستغرب ذلك؛ فالعداوة بين الإسلام - الدين الحق الذي هو آخر الأديان وخاتمها - وبين ما سواه من الأديان الباطلة قائمة إلى قيام الساعة، غير أن المشكلة العظمى والطامة الكبرى أن القنوات الفضائية والمواقع العربية صارت مرآة عاكسة للفكر الغربي القبيح، فصارت تغرّب ولا تقرّب، وتهدم ولا تبني، وغدا خطرها على الدين والثقافة والفكر والخلق لا يقل خطراً عن تلك الوسائل الأجنبية، كل ذلك

بدعوى الانفتاح الحضاري والثقافي والإعلامي، ومواكبةً للتطورات العالمية، وهذا يعني أننا أمام أنواع شتى من الغزو يجب أن تكون المجتمعات الإسلامية على وعي تام بها وبأخطارها ومكائدها.

إن الكثير من الأعمال الفنية في هذه الوسائل توحي للمشاهد بأن القرآن صار من التراث القديم، وأنه لا يصلح لتنظيم شؤون البشر وحياتهم، وأصبحت مهمته مجرد قراءته في مناسبات معينة، وتعليقه وتزيين البيوت به، بل وصل المكر ببعض تلك الوسائل أنهم ربطوا قراءة القرآن بالمصائب، حتى صار القرآن في حس المشاهد كأنه نذير شؤم، وهذا تشويه واضح خطير لمفهوم شمولية هذا الكتاب لكل مجالات الحياة، بل هو عزل تام لهذا المنهج العظيم عن شؤون حياة الناس كلها[١].

ولم يسلم المصدر الثاني من مصادر هذا الدين من خبثهم وتشويههم وطعنهم، فعلاوة على طعنهم في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم واستهزائهم بها، درجوا على الاستهزاء بحديثه وسنته صلى الله عليه وسلم، ونشر الشبهات حول دعوته وشريعته، وأصبحت هذه الأمور مادة لكثير من برامجهم الحوارية في القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية وما يسمى بغرف المحادثة، بل أصبحت – للأسف – مادة للتهكم والسخرية وإضحاك المشاهدين في الكثير من الأفلام والمسرحيات والمسلسلات وبرامج الأطفال.

وأما في الشبكة العالمية: فالأمر بلا شك أخطر والعداوة أوضح وأصرح، فهاهم يروجون لعملية التحريف في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال شبكة "America on line" بإضافة ترجمات وتفاسير مزورة ومغرضة لأربع سور مخترعة بعناوين "الإيمان، والتجسيد، والوصاية، والمسلمون" ويزعمون أن مرجعها صحيح البخاري وكتب التفسير، ويضعون لها رواة مزيفين على نسق رواة الحديث، كما أنهم يحرصون على تقديم معلومات خاطئة عن الإسلام من خلال قواعد البيانات ومحركات البحث، وأهم تلك القواعد – على سبيل المثال –:

---

(١) انظر: الفن الواقع والمأمول، د. خالد الجريسي (ص ٧٣).

قاعدة المعلومات اليهودية التي تسمى "yahoo"، ومن أساليب خبثهم ومكرهم عرضهم عقائد باطلة لبعض الفرق المنحرفة التي انتسبت للإسلام، وزعمهم أنها من عقيدة الإسلام، ويستشهدون بها في أثناء عرضهم لشبهاتهم[(١)].

كما أنهم يستخدمون بعض الصور التي تشوه الإسلام، مثل: صورة الجمجمة من الهيكل العظمي، التي تشير إلى معنى الخطر، وعدم الاقتراب، ويكتبون تحتها "العقيدة الخاطئة" ويعرضون فيها عقيدة الإسلام[(٢)].

وأما رموز هذا الدين من الأنبياء والصحابة وقادة الإسلام وعلمائه ودعاته فقد كان لهم حظ كبير من التشويه والطعن والسخرية من خلال هذه الوسائل، ومن ذلك – على سبيل المثال –: ما قام به الممثل العالمي "جون جوجت" من تمثيل شخصية رسول الله نوح عليه السلام، وقد قامت الشركة المنتجة للفيلم ببناء سفينة ضخمة جداً لتضاهي سفينة نوح عليه السلام، ولا يخالطنا شك من أن قيام الممثل بتمثيل شخصية رسول من رسل الله ليس قطعاً من معاني التكريم، وإنما هو مساس بذات الرسول ومكانته في قلوب المؤمنين، وفي فيلم "تلك الليلة" تظهر طقوس الدين النصراني، ويصّور المسيح عليه السلام بشكل خيالي كالطيف، وهذا اعتداء صارخ على نبي من أنبياء الله، واستخفاف واضح من أهل الفن بالأنبياء والرسل – عليهم السلام – حيث أصبحت شخصياتهم عرضة للتجسيد وباباً للكسب المادي.

ومن ذلك – أيضاً –: ما تبثه بعض تلك القنوات مما يسمى "المسلسلات الإسلامية" التي تمثل فيها بعض شخصيات الصحابة – رضوان الله عليهم – والتابعين وبعض أئمة هذا الدين وقادته، فإننا نلمح في أكثرها تشويهاً ودساً واضحاً وصريحاً في التاريخ الإسلامي، إذ تربط فيها مفاخر وبطولات قادة المسلمين بالحب، ويبرز دور المرأة باعتبارها فاتنة تؤثر في الأحداث بجمالها لا بإيمانها وصلاحها، ويتقمص شخصيات قادة المسلمين ممثلون عرفهم

---

(١) انظر على سبيل المثال موقع answeringislam.com.

(٢) انظر موقع: (bible.ca) وانظر كتاب: أبرز المواقع التنصيرية، إنعام بنت محمد عقيل (ص ٥٥).

المشاهدون في أدوار الحب والغرام والإجرام، ويرتكب في هذه الأعمال مخالفات عقدية وسلوكية واضحة، مما يكون له أبلغ الأثر في عقل ونفس المشاهد(١).

ومنه: تلك الأعمال التي تحرص على تشويه صورة العلماء والدعاة وأهل الحسبة في أذهان الناس، فالعالم في المسلسلات همه الأكبر الإسراف في المأكل والمشرب، وكلامه غالباً ما يكون مثاراً للسخرية ولباسه مدعاة للازدراء، لا يحتاجه الناس إلا عند عقد النكاح أو العزاء، والداعية إلى الله - سبحانه وتعالى - له مصالح سياسية وأخرى شخصية، يخالف قوله فعله، لا يعرف للحكمة باباً، ولا للرفق طريقاً، فظاً غليظاً متخلفاً، يعاني من عقد وأمراض نفسية(٢).

هذه هي صورة الدين الإسلامي وصورة أهله في غالب القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية في الشبكة العالمية، أرادوا بها صدّ الناس عن دين الإسلام، وتفريق الأمة الإسلامية، وصرف المسلمين عن قدواتهم، وعزل المتمسكين بدينهم عن أفراد مجتمعاتهم، وتذليل العقبات أمام مصالحهم، إلا أنهم كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(٣).

- تشكيك المسلمين في عقيدتهم:

يحاول أعداء الإسلام استغلال وسائل الإعلام من أجل هدم الإسلام والتشكيك فيه عقيدةً وديناً، فحروبهم الفكرية مستمرة ومستعرة منذ زمن بعيد ضد الإسلام وأهله، فالمستشرقون ما برحوا يؤلفون الكتب ويثيرون الشبهات حول دين الإسلام وعقيدته؛ بغية زعزعة العقيدة الإسلامية في قلوب أبناء الأمة المسلمة وعقولهم، فلما ظهرت القنوات الفضائية والشبكة العالمية وجدوا أنها

---

(١) انظر: الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها، د. عبد القادر عطا صوفي، (ص ٧٨).

(٢) ومن تلك الأعمال فيلم "إرهاب وكباب" وبعض حلقات مسلسل "طاش ما طاش" وغيرها.

(٣) سورة الأنفال: الآية (٣٠).

من أفضل الوسائل التي يمكن من خلالها نشر تلك الأفكار والشبهات وزرعها في نفوس المسلمين، ولاسيما أن تلك الوسائل أصبحت من المصادر الرئيسة للثقافة عند كثير من الناس، وتزداد الخطورة إذا عرفنا أن العديد من المشاهدين لا يملكون الآلة الكافية للتمييز بين الأفكار والمعتقدات الصحيحة والخاطئة، وهذا ما يسهل مهمة أولئك الأعداء.

فهناك العديد من القنوات الفضائية، سواء أكانت محطات أجنبية أم عربية تقوم ببث الشبهات وإثارة الشكوك حول دين الإسلام ومصادره ومعتقداته من خلال موادها الإعلامية التي تبثها كالأفلام والمسلسلات والبرامج الحوارية واللقاءات والمحاضرات والندوات، ومن تلك القنوات على سبيل المثال: قناة الحياة[١]، وقد تبنت هذه القناة مشروع زعزعة الإيمان عند المسلمين، وإيجاد العديد من التساؤلات المشككة في الذات الإلهية وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والتشكيك في أهم مصدرين من مصادر التشريع: كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من خلال العديد من البرامج التي تعرض فيها، ومن هذه البرامج على سبيل المثال: أسئلة عن الإيمان، وفي الطريق، والله للجميع وغيرها.

ويتميز برنامج (أسئلة عن الإيمان) بتخصصه في بث الشبهات حول الدين الإسلامي، فالضيف الدائم للبرنامج وظيفته الرئيسة إخراج ما في بطون كتب المستشرقين والمنصّرين من شبهات ونشرها عن طريق شاشة تلك القناة[٢].

وهكذا سائر القنوات الأخرى الهدامة، فهي في حقيقتها تنطلق من فكر

---

(١) وهي قناة عربية نصرانية، تعلن مهاجمة الإسلام وتدعو لتنصير المسلمين، تبث من قبرص على مدى ٢٤ ساعة، وهي موجهة للناطقين باللغة العربية في كل من البلاد العربية وشمال إفريقيا وأوروبا، بدأت بثها في الخامس عشر من سبتمبر ٢٠٠٣م. انظر: الفضائيات العربية التنصيرية: أهدافها، ووسائلها، وسبل مقاومتها، تركي بن خالد الظفيري (ص ٨٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ٢١٧).

معين، فلا جدال في تبنّيها لعقيدة هذا الفكر ونشرها لتوجهاته، ومحاربتها لكل ما سواه من الأفكار والعقائد، لاسيما العقيدة الإسلامية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى استقلاليتها وقوة انتماء المسلمين إليها، وإمكان اعتناق أصحاب العقائد الأخرى لها، كل هذا جعلها تصبح هدفاً رئيساً للهجوم بأي سلاح مباشر أو غير مباشر.

وأما شبكة الإنترنت فهي البحر الذي لا ساحل له، إذ إن المتصفح لها يجد فيها العديد من المواقع التي تهدف إلى إثارة الشبهات حول دين الإسلام وخلخلة العقيدة في نفوس المسلمين، ومن تلك المواقع على سبيل المثال:

- (the-good-way.com) وهو من المواقع الكبيرة، ويمكن استعراضه باللغات التالية: العربية – والانجليزية – والإندونيسية.

- (Lightoflife.com)) وهو موقع باللغة العربية، وهدفه تشويه الإسلام، وإثارة الشبهات حول الشريعة الإسلامية ومصادرها والتاريخ الإسلامي.[(١)]

ومن أخطر ما في شبكة الإنترنت: ما يسمى بغرف المحادثة "البالتوك" وهي عبارة عن غرف يتواصل من خلالها العديد من المستخدمين ويتحاورون في موضوعات شتى، ويمكن للمستخدم سماع تلك المحاورات والمشاركة فيها سواء عن طريق الكتابة على الشاشة أو عن طريق التحدث بما يسمى (المايك) أو [الميكروفون]، وموضع الخطورة – هنا – يكمن في كثرة الغرف التي يحرص القائمون عليها على بث الشبهات والشكوك حول دين الإسلام وعقيدته ومصادره وتاريخه، وبسؤال العينة التي أجريت عليها الدراسة عن دخولهم إلى مثل هذه الغرف وتأثرهم بها ظهر لنا أن ٢٧,٢٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة سبق لهم الدخول إلى تلك الغرف، وأن ٩,٢٪ من العينة السابقة قد تأثروا بما يدور في تلك الغرف بدرجات متفاوتة.

---

(١) يجدر التنبيه – هنا – إلى أن المواقع والصفحات التي تهتم بنشر الشبهات حول الإسلام وعقيدته كثيرة جداً، ولا يمكن حصرها؛ إذ أنها تبث بلغات شتى.

الدعوة إلى النصرانية:

عقد في هولندا اجتماع عالمي للتنصير، رأسه المنصّر (جراهام بيللي) وحضره (٨١٩٤) منصّراً من أكثر من مائة دولة، وبلغت نفقات هذا الاجتماع (٢١) مليون دولاراً، دفعتها منظمة (سامرتيان بيرس) التي يرأسها المنصّر (جراهام بيللي)، وقد أعلن خلال هذا الاجتماع عن حملة صليبية عالمية لنشر المسيحية عام ١٩٨٩م باستخدام الأقمار الصناعية(١).

وقد جاء هذا استجابة للمرسوم الذي أصدره "المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني" الذي عقد عام ١٩٦٢م وحضره ما يقرب من ثلاثة آلاف من الأساقفة يمثلون الكنيسة في جميع أنحاء العالم، ومما جاء فيه:

- من الضروري أن تستخدم الكنيسة وسائل الاتصال الجماهيري، وأن تمتلكها لأنها ضرورية للتربية المسيحية، ولكافة الأعمال الدعائية الأخرى.
- على الدعاة أن يبادروا في هذا الميدان إلى استخدام هذه الوسائل للقيام بواجب التبشير بالإنجيل الذي هو من صميم مهمتهم.
- يجب الاهتمام بإنشاء العديد من المدارس والمعاهد والكليات التي تتيح للصحافيين ومنتجي الأفلام ومذيعي الراديو والتليفزيون ولكل المعنيين بهذه الأمور تحصيل ثقافة كاملة مشبعة بالروح المسيحية تنصب بوجه خاص على التعليم الاجتماعي للكنيسة.
- إنشاء مؤسسات محلية لإنتاج الأفلام السينمائية وبرامج الراديو والتليفزيون وتدعيمها وتزويدها بجميع الإمكانات.
- يجب استخدام هذه الوسائل لتوعية المسلمين – أي تنصيرهم – ولإعداد وتدريب المنصّرين في ذات الوقت، وتزويدهم بجميع ما يحتاجون إليه من معلومات في هذا المجال.

هذه هي بعض توصيات ذلك المجمع، ومما لا شك فيه: أن الهيئات

---

(١) انظر: أخطار التنصير بالأقمار الصناعية، عاطف زهران، مجلة الرابطة الإسلامية، مكة المكرمة، العدد: ١٤٠، رمضان ١٤٠٩، مايو ١٩٨٩م (٢٧).

والمنظمات التنصيرية أفادت فائدة عظيمة من جراء استخدام هذه الوسائل الجماهيرية، إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أن الإرساليات الكبيرة قد تمكنت عبر هذه الوسائل وبواسطتها من أن تصل بصوتها إلى ٤٨ مليون شخص يومياً عام ١٩٨٦م، وكان هذا الاتصال يتم بواسطة توزيع الكتب والنشرات التنصيرية والإذاعة وعرض الأفلام(١).

وفي عام ٢٠٠٠م وافق الفاتيكان على المشروع الكاثوليكي (جوسان) الذي يتمثل في إنشاء محطة تليفزيونية كبيرة للبث المباشر لجميع أنحاء العالم تتعلق بالتنصير ونشر تعاليم الإنجيل من خلال ثلاثة أقمار صناعية، وسمي بمشروع (لومين ٢٠٠٠)، وهو المشروع الأول من نوعه لسيطرته الإعلامية على مختلف قارات العالم، لاسيما قارتي أفريقيا وآسيا حيث يكثر فيها المسلمون(٢).

ومما سبق يظهر لنا: أن المنصّرين اهتموا بوسيلة البث المباشر والقنوات الفضائية لنشر دينهم والدعوة إليه، والمتتبع لهم يجد أنهم يعتمدون على طريقتين(٣):

الأولى: بث برامج دينية نصرانية داخل قنوات عامة، سواء أكانت إخبارية، أو اجتماعية، مثل قناة LBC وقنوات MBC وغيرها.

ومن المؤسف أن نرى غزوهم يدخل إلى بعض القنوات الخليجية الرسمية كما حصل في مسلسل "صغيرتي الغالية" الذي عرض في قناة (أبو ظبي).

والثانية: إيجاد قنوات فضائية مستقلة لغرض التنصير ونشر الدين النصراني، وقد بدأ تنافس المنصّرين في إنشاء قنوات تنصيرية منذ عام ١٩٩١م، حيث انطلق تليفزيون (تيلي لوميار)، وتلتها قناة (سات ٧) حيث

---

(١) انظر: التنصير عبر الانترنت، أحمد محمود أبو زيد، مجلة الجندي المسلم، السعودية، العدد (١١٨) عام ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص ٧٣).

(٢) انظر: وسائل الإعلام السعودية والعالمية، محمد فريد عزت (٤٢٧).

(٣) كما يذكر الباحث تركي الظفيري في كتابه الفضائيات العربية التنصيرية (ص ٤٧ وما بعدها.

أسست رسمياً في نوفمبر سنة ١٩٩٥م، وفي عام ٢٠٠٣م انطلقت قناة (نورسات) التابعة لمؤسسة (تلي لوميار)، وقناة الحياة، وفي عام ٢٠٠٥م انطلقت ثلاث قنوات تنصيرية هي: قناة المحبة، وقناة الكرامة، وقناة الشفاء، ثم ظهرت بعد ذلك: قناة المعجزة، وقناة الروح.

وتهدف هذه القنوات التي تبث أغلبها باللغة العربية إلى هدفين رئيسين:

١ – دعوة النصارى إلى دينهم، وتثبيت الإيمان في قلوبهم.

٢ – دعوة غير النصارى للدخول في النصرانية.(١)

ومن أخطر البرامج التي تعرض من خلالها العقيدة النصرانية: تلك البرامج التي توجه للأطفال، لاسيما ما يسمى بالأفلام الكرتونية أو الرسوم المتحركة؛ ذلك أنها تستحوذ على اهتمام كبير من الأطفال، فقد أثبتت الدراسات أن الأطفال يتابعونها بنسبة تامة ١٠٠٪(٢).

وقد استغل أعداء الإسلام هذا الاهتمام، فراحوا يغزون أطفال المسلمين بأنواع من الغزو المدمر من خلال تلك الأفلام والمسلسلات، ومن أمثلة ذلك:

مسلسل كرتوني رآه كثير من أبناء المسلمين، وهو يرمي إلى غرس عقيدة التثليث المنحرفة في قلوبهم، وهو بعنوان "الإله زيلا" ومما تضمنه هذا المسلسل: أن أسرة كانت في عرض البحر فاعترضتها وحوش خيالية أصابتها بالرعب والهلع، فلم تلبث هذه الأسرة إلا أن دعت "الإله زيلا" الذي هرع لنجدتها، فأنقذ الأسرة بعد صراع مرير مع تلك الوحوش الخيالية، ولهذا الإله – كما يزعمون – ابن يعايش البشر، فهو واحد منهم يرعاهم ويستجيب لهم(٣).

---

(١) انظر المرجع السابق (ص ١٣٢).

(٢) أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية وأثرها على قيم وسلوك الطفل المسلم في المملكة العربية السعودية – فاطمة أحمد أبو ظريفة، (ص ١٦٢)، رسالة علمية لم تنشر – يوجد منها نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث برقم (٥٣٢٥٢١).

(٣) انظر: الفن الواقع والمأمول، د. خالد الجريسي (ص ٣٧) نقلاً عن التليفزيون وتربية الطفل المسلم، عالية الخياط، (ص ٦٠).

وهذه المشاهد – كما يظهر – تعارض عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام من دعاء الله – تعالى – وحده واللجوء إليه، وتدعو إلى اعتقاد الولد لله عز وجل كما هو الحال في العقيدة النصرانية المنحرفة تعالى الله عما يقولون ويصورون علواً كبيراً.

وهكذا فقد حاول دعاة التنصير استغلال جميع وسائل الإعلام لنشر دعوتهم والدعوة إلى دينهم، ومن تلك الوسائل: شبكة الانترنت، فإنهم لما رأوا ما تتميز به هذه الشبكة من سعة الانتشار على مستوى العالم سعوا جاهدين لاستغلالها لخدمة دعوتهم؛ ولهذا قام المنصّرون وممثلو الإرساليات التنصيرية والقائمون على الصفحات والمواقع التنصيرية على الشبكة الدولية بدراسة أفضل السبل لاستخدام إمكانات شبكة الإنترنت في نشر الدعوة التنصيرية.

وقد أثمر هذا النشاط آلاف المواقع التنصيرية التي تفوق عدد المواقع الإسلامية بعشرات المرات، فالإحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية تزيد عن المواقع الإسلامية بمعدل ١٢٠٠٪، وأن المنظمات التنصيرية هي صاحبة اليد العليا في الإنترنت، حيث تحتل نسبة ٦٢٪ من المواقع، وبعدها المنظمات اليهودية، أما المسلمون فيتساوون مع الهندوس في عدد المواقع والذي لا يزيد عن ٩٪ من مواقع الشبكة(١).

ويؤكد الخبير والباحث الاجتماعي الألماني "كريستوف فولف" أن هناك تزايداً ملحوظاً في استخدام الشبكة الإلكترونية في نشر الدعوات الدينية المختلفة، وخصوصاً من جانب الكنائس الأوروبية، وأن الكنائس والفرق الدينية اكتشفت في الإنترنت وسيلة لنشر رسائلها(٢).

ويحاول دعاة التنصير من خلال هذه الشبكة مخاطبة أكبر شريحة ممكنة

---

(١) التنصير عبر الإنترنت، أحمد محمود أبو زيد، مجلة الجندي المسلم، العدد (١١٨) عام ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م (ص ٧٥)

(٢) انظر: مجلة الدعوة السعودية، العدد (١٨٩١)، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ، يونيو ٢٠٠٣م (ص ١٤).

من أفراد العالم، ولهذا فإن مواقعهم الإلكترونية يمكن استعراضها بأكثر من لغة، بل إن أحد تلك المواقع شمل تسع لغات وآخر شمل ٢٩ لغة، ومن هذه اللغات: العربية، والإنجليزية، والتركية، والإندونيسية، والفارسية، والأردو، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، واليابانية، والأسبانية، والصينية وغيرها[١].

ومن أمثلة تلك المواقع:

- موقع عن عيسى (www.aboutisa.com)، وهو من المواقع الضخمة ويمكن استعراضه باللغات التالية: العربية والإنجليزية والتركية، والإندونيسية، ويهدف هذا الموقع إلى الطعن في عقيدة الإسلام والتشكيك فيه من خلال المقارنة مع النصرانية.
- وموقع الكتاب المقدس (www.bible.ca)، وهو - أيضاً - من المواقع الإنجليزية الكبيرة ذات التقنية العالية والخدمات المتميزة، ويهدف هذا الموقع إلى تشويه الإسلام وعقائده، والدعوة إلى النصرانية وتزيين عقائدها، ويمكن من خلاله التواصل مع الزوار والإجابة عن أسئلتهم، وإرسال الكتب إليهم مجاناً.

- نشر العقائد والأفكار الباطلة والخرافية:

تحمل وسائل الإعلام الغربي وبعض القنوات والمواقع العربية المستغربة بين طياتها اختلافاً وتناقضاً عقدياً مع مجتمعاتنا المسلمة، والسبب في ذلك إما لأنهم يدينون بأديان مخالفة لدين الإسلام وعقيدته، أو لأنهم لا يدينون بدين أصلاً ولا يعترفون بعقيدة سماوية، ولذا نجد أن غالب ما يعرض في تلك القنوات والمواقع من مواد يتعارض مع ما يدين به المسلمون من دين وما يعتقدونه من معتقدات، فأولئك القوم يسعون في جلّ إعلامهم إلى نشر الكفر والإلحاد وتعزيز النزعة المادية في قلوب الناس من خلال إرجاع الأحداث إلى المادة وإغفال القدرة الإلهية، والدعوة إلى الأفكار والمناهج المخالفة للإسلام كالعلمانية والليبرالية والشيوعية والوجودية وغيرها.

---

(١) انظر: دراسة لبعض المواقع التنصيرية العربية في الإنترنت د. خالد عبد الله القاسم. (ص ٢١).

ومن ذلك – أيضاً –: عرض تلك الوسائل من خلال موادها الإعلامية لشعائر أديانهم وطقوسهم وترانيمهم وعباداتهم الشركية، ورموزهم ومعابدهم الوثنية بشكل متنوع ومستمر، مما يجعل تلك المناظر والممارسات من الأمور المعتادة عند الناس التي اعتادوا على رؤيتها ومشاهدتها، فيحدث عندهم ما يسمى "الإلغاء بالتعود" بمعنى أنهم تصل بهم الحال إلى عدم إنكار تلك العبادات والشركيات؛ لأنهم اعتادوا على رؤيتها، فيضعف بذلك ما في قلوبهم من عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، لاسيما إذا أضيف إلى ذلك حرص القائمين على تلك القنوات والمواقع على عرض الحياة الغربية بصورة مزيفة مبهرجة تدعو إلى الانبهار والإعجاب، ومن ثم المحبة والمودة لهم، والسعي إلى تقليدهم ومحاكاتهم، باكتساب الكثير من العادات والأفعال المحرمة التي تقدح في عقيدة المسلم، وهذا تعارض واضح وقدح صريح في عقيدة الولاء والبراء التي هي من صلب عقيدة الإسلام.

ومن أساليبهم في إفساد عقائد المسلمين: عرضهم لمظاهر الشرك والكفر وترويجهم لها من خلال تلك الوسائل، فالذي يقلب تلك القنوات ويتصفح تلك المواقع يلاحظ أن أصحابها يحرصون على عرض أمور تخالف عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام، ومن ذلك: عرضهم لكثير من الصور والأفلام والمسلسلات وأحياناً التقارير المباشرة التي تحتوي على عبادة القبور والطواف حولها والاستغاثة بأصحابها وطلب الحاجات منهم وتقديم القرابين لهم، وهذه المشاهد – بلا شك – لا تعرض في هذه الوسائل للتحذير منها وبيان خطورتها، بل إنها تعرض مجردة تارة، وتعرض تارة أخرى على أنها من مظاهر السياحة، أو من ضمن ثقافات الشعوب وسلوكياتهم، وتزداد خطورة عرضها عندما تعرض على أنها من الإسلام، أو يدعى إلى ممارستها من خلال تلك الوسائل.

ومن تلبيسهم ودهائهم: أنهم وجهوا جزءاً من غزوهم ذلك لعقيدة أطفال المسلمين من خلال الرسوم المتحركة، ومن أمثلة ذلك: ما يعرض في المسلسل الكرتوني "مغامرات الليث الأبيض"، والذي عرض في الكثير من القنوات

الأجنبية والعربية، إذ يظهر في أحد عروضه صنم من حجارة وقد وقف الناس أمامه بذلّة وخضوع يتوسلون إليه ويدعونه عند الكوارث والمصائب[(١)]، وهذه محاولة واضحة لهدم عقيدة التوحيد في نفوس الأطفال.

وقد استحوذت – للأسف – تلك الوسائل على قلوب ونفوس شريحة ليست بالقليلة من المسلمين، على الرغم مما يعرض فيها من الأمور الخرافية التي تتعارض مع العقل أولاً كتعارضها مع الشرع، ومن أمثلة ذلك: ما ظهر مؤخراً مما يسمى بقنوات السحر والشعوذة، تلك القنوات التي يسوَّق من خلالها للسحر وللسحرة، ويلبس فيها على الناس بالكهانة وادعاء علم الغيب من خلال برامج مباشرة يظهر من خلالها ساحر أو كاهن يدعي معرفة علم الغيب أو القدرة على علاج الأمراض وغيرها من الأمور التي يلبَّس بها على العوام وتُفسد بها عقائدهم وتعلّق نفوسهم وعقولهم بالخرافة والدجل، ومع هذا نجد عدداً ليس بالقليل يتابع تلك القنوات ويتفاعل معها من خلال الاتصال الهاتفي بأصحاب تلك البرامج.

ومن خلال العينة التي أجريت عليها الدراسة تبين أن ٣,٤٪ من أفراد عينة الدراسة يتعمدون مشاهدة تلك القنوات، في حين أن نسبة ٢١,٣٪ يتعمدون أحياناً متابعة تلك القنوات، وهذا يعني أن ما يقرب من ربع عينة الدراسة يتابعون تلك القنوات بدرجات مختلفة، مما يدلنا على خطورة هذا الأمر، وتأثيره في عقيدة شريحة ليست بالقليلة من أبناء المسلمين.

وإذا نظرنا – أيضاً – إلى ما تقدمه هذه القنوات والمواقع للأطفال من برامج ترفيهية، ورسوم متحركة نجد أن أغلبها يعتمد على الخرافة والسحر والخيال، كما هو الحال في أفلام "البوكيمون" أو "السوبرمان" أو "البات مان" أو "سبايدرمان" التي لا تكاد تخلو منها قناة من القنوات.

هذه بعض الأخطار العقدية التي تتضمنها تلك الوسائل، واعتقد أنه ظهر

---

(١) انظر: الفن الواقع والمأمول – د. خالد الجريسي، (ص ٣٨).

جلياً مدى خطورة تلك الوسائل على دين المسلمين واستهدافها لعقيدتهم التي يدينون لله - عز وجل - بها.

* الخطر الثقافي والعلمي:

لا تقل الأخطار الثقافية في آثارها عن الأخطار العقدية التي تنشرها وسائل الإعلام المرئي، وقد سبق أن بينا أن جلّ أفراد الشعوب يرون في تلك الوسائل مصادر ثقافية بغض النظر عما يعرض فيها من مواد، وهذا يعني أنه يمكننا القول: إن أكثر مخاطر تلك الوسائل هي مخاطر ثقافية، وذلك لسببين:

١ - طبيعة تلك الوسائل، فهي عند الكثير المصدر الأول للثقافة.

٢ - المعنى الشامل للثقافة بمكوناتها المعنوية والمادية.

ومن تلك المخاطر ما يلي:

- إشاعة النموذج الثقافي الغربي:

تسعى العديد من وسائل الإعلام المرئي - سواء عبر الفضائيات أو عبر شبكة الإنترنت - إلى ما يسمى "التجانس الثقافي بين المجتمعات"؛ وذلك بإشاعة النموذج الثقافي الغربي - ولاسيما الأمريكي- وتجريد الشخصية الثقافية المحلية من مقوماتها الفكرية والدينية التاريخية، ومحو معالم الذاتية الثقافية التي تختص بها كل أمة من الأمم وتسطيحها إلى المدى الذي يجعلها متوافقة مع أهداف ومصالح القوى الثقافية والاتصالية الغربية، ولا شك في أن ثقافة البلد الأقوى في المجالات الإعلامية والاتصالية هي التي سيكون بمقدرتها أن تمحو الثقافات الأخرى، بسبب قدرتها على الانتشار والتغلغل في كثير من البلدان والمجتمعات[١].

ولهذا نلاحظ أن تلك الوسائل تعرض ثقافة تلك الدول وحياة أصحابها بصورة جميلة مبهرجة تدفع المشاهدين والمتابعين إلى الانبهار والإعجاب بها

---

(١) انظر: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، د. عواطف عبد الرحمن، عالم المعرفة العدد (٧٨) رمضان ١٤٠٤هـ، يونيو ١٩٨٤م (ص ٤٧).

وتقليدها، بحيث تصبح تلك الدول مثلاً أعلى تتعلق به أنظار وطموحات الشعوب والدول الأخرى، وفي المقابل تعرض الثقافات الأخرى بصورة تجعل أصحابها يتنكّبونها ويعرضون عنها، ويظنون أنها السبب في جهلهم وتخلفهم، وبهذا يكون عمل الإعلام هو نقل هذه الشعوب من النمط التقليدي إلى التحديث أي الحياة وفقاً للنمط الغربي من خلال حثها على نبذ الأساليب التقليدية وترغيبها في الأنماط والسلوكيات التي تسود المجتمعات الغربية.

ومما يوضح لنا خطورة هذا الأمر: أن مسار المعلومات والمواد الإعلامية في النظام الإعلامي العالمي يأخذ شكل المسار الواحد، بمعنى أنها تتدفق بغزارة من الدول المتقدمة إلى الدول النامية، فأغلب وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تبث من تلك الدول الصناعية، كما أنه – وللأسف – فإن جلّ المواد الإعلامية التي تعرض في القنوات العربية الرسمية والخاصة من المواد المستوردة التي تقوم على قيم وأساليب وثقافة الغرب.

يقول البروفيسور الأمريكي هربرت شيللر: "لقد انشغل صناع القرار السياسي والمفكرون الغربيون بالبحث عن بدائل تضمن استمرار السيطرة الغربية – وعلى وجه التحديد الأمريكية – على الأوضاع الثقافية والاقتصادية الدولية، فاستقر رأيهم على التكنولوجيا كبديل، وتتضمن هذه التكنولوجيا شبكات الكمبيوتر ونظام الأقمار الصناعية، وتقوم هذه الشبكات ببث كميات هائلة من الأخبار والمعلومات عبر دوائر عابرة للحدود القومية، وأكثر من ذلك فإنها سوف تصبح في منأى عن الرقابة المحلية؛ ولذلك فإن هذا التوسع في الاستخدام العالمي للمعلومات من ناحية البث الإلكتروني وشبكات بنوك المعلومات سوف يكون له آثار خطيرة على الثقافات القومية في الأعوام القادمة".

وهنا يتضح لنا كيف أن التكنولوجيا بوجه عام وتكنولوجيا الاتصال بشكل خاص لا تؤدي عملاً حيوياً في السيطرة الثقافية فحسب؛ ولكنها تعدّ بالفعل جزءاً من هذه السيطرة[١].

---

(١) انظر: المرجع السابق (ص ٥٢).

وإذا كانت القيم الثقافية لأي مجتمع من المجتمعات هي التي تحدد هويته، فإن تحقيق تنميته لا يتأتى بتبني أهداف تحطم قيمه الثقافية التقليدية وتفقده ملامح هويته الأصلية. وقد دلت التجارب التنموية لكثير من المجتمعات النامية على أن مظاهر التحديث المزعوم جلبت معها مظاهر العلمانية الثقافية، حيث طغت مظاهر الثقافة الغربية على الثقافة المحلية في بعض المجالات، ولصعوبة استيعاب معادلة توفيقية بين ما هو من صميم الخصوصية الثقافية وما هو مقتبس من الآخرين، ظلت المعضلة الأساسية في إيجاد حالة من التوازن المقبول بين مظاهر الثقافة الغربية وقيم الثقافة المحلية، وتزداد صعوبة المعالجة على نحو كبير في وجود الفضائيات والشبكة العالمية، التي قد تحلل على المدى الطويل من نسيج ووحدة القيم الثقافية المعاشة[١].

وبسؤال أفراد العينة التي أجريت عليها الدراسة عن مدى تأثرهم بالثقافة التي تعرض في القنوات الفضائية كانت النتيجة كالتالي: ١٦,٣٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يشعرون بتأثرهم بالثقافة التي تعرض في هذه القنوات، و ٤٧,٥٪ من إجمالي العينة يشعرون أحياناً بتأثرهم بتلك الثقافات، في حين أن ٣٦,٣٪ لا يشعرون بتأثرهم بتلك الثقافة المعروضة.

- التأثير السلبي في مستوى التعليم:

أثبت كثير من الدراسات أن الإفراط في متابعة القنوات الفضائية والدخول إلى شبكة الإنترنت يؤثر سلباً في مستوى التعليم ويضعف مستواه لدى أفراد الأمة، فقد أجريت دراسة عن أثر التليفزيون في تحصيل الطالب فأفاد ٦٤٪ ممن شملتهم الدراسة أنه يشغل عن التحصيل والاستذكار[٢].

وفي دراسة أخرى على طلاب المرحلة الثانوية كانت نتيجتها أن ٧٠٪ من

(١) انظر: البث المباشر عبر الأقمار الصناعية ومستقبل الثقافة المعاشة في منطقة الخليج العربي، د. راسم محمد الجمال (ص ١٨)
(٢) انظر: البث المباشر حقائق وأرقام - د. ناصر العمر (ص ٥٧)، والبث المباشر التحدي الجديد عبد الرحمن عيسري (ص ٨٩).

أفراد عينة الدراسة قالوا: إن التحصيل الدراسي سينخفض بسبب متابعة القنوات الفضائية[١].

وأما الدراسة التي أجريناها: فكانت نتيجتها أن ٦٧٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة تؤثر متابعتهم لهذه القنوات في دراستهم، في حين أن ٢٦,١٪ من تلك العينة تؤثر أحياناً متابعتهم لهذه القنوات في دراستهم، وهذا يعني أن ما يقرب من ٩٣,١٪ من عينة الدراسة تؤثر متابعتهم للقنوات الفضائية في دراستهم بدرجات متفاوتة.

ونلاحظ من خلال الدراسات السابقة أن النسبة تزداد في كل دراسة عمّا في سابقتها؛ ولعل هذا يرجع إلى زيادة عدد القنوات الفضائية وتنوعها وتنافسها في البرامج والمواد الإعلامية التي تقدمها وتستهوي بها المشاهدين.

وهذه الدراسات والنتائج لابد أن تدقّ ناقوس الخطر لأبناء الأمة الإسلامية، إذ إن تلك القنوات والفضائيات ستخرج لنا أجيالاً لا يستطيعون مواكبة متغيرات العصر بشكل علمي مقنن، وإنما غاية ما عندهم ثقافة هشة، لا تعتمد إلا على فتات من المعلومات في موضوعات متفرقة متشعبة، لا يجمعها منهج أو نظام، ولا تتعمق في أي موضوع منها، بل إن تلك المشاهدات والمناظر ستقضي على ما تعلمه الطالب في فصول الدراسة، لاسيما إذا عرفنا أن الوقت الذي يقضيه الطالب أمام تلك القنوات يفوق بكثير الوقت الذي يقضيه على مقاعد الدراسة.

ففي دراسة حديثة أجريت على طلبة الجامعات تبين منها أن الطالب يقضي سنوياً ما يقارب (٦٠٠) ساعة في الجامعة، في حين أن متوسط الساعات التي يقضيها الفرد أمام جهاز التليفزيون يقارب (١٠٠٠) ساعة سنوياً[٢].

وإذا نظرنا في واقع الطلاب مع البرامج التي يشاهدونها فإننا نجد أن البرامج العلمية والثقافية لا تكاد تقارن مشاهدتها بمشاهدة البرامج الأخرى،

---

(١) انظر: الفضائيات والإنترنت وآثارها على الطلاب، عصام الشايع، (ص٥٧).
(٢) انظر: البث المباشر التحدي الجديد، عبد الرحمن عسيري، (ص ٩١).

وذلك أن نسبة ٣,٩٪ من الطلاب يتابعون البرامج العلمية والثقافية، أما البقية وهم ٩٦,١٪ فإنهم يقبلون على مشاهدة البرامج الأخرى.

ولا يختلف الأمر كثيراً فيما يخص نوع القناة التي يتابعها هؤلاء الطلبة، فقد ظهر لنا من خلال الدراسة التي أجريناها أن ما يقرب من ٨٠٪ من عينة الدراسة يتابعون قنوات الأفلام والرياضة والأغاني، في حين أن ٢٠٪ فقط يهتمون بالقنوات الإخبارية والوثائقية والعلمية.

ومن أضرار تلك الوسائل: أنها أثرت سلباً في قراءة الناس ومطالعتهم للكتب، فمن الواضح للجميع أن "الكتاب قد تراجع للوراء في هذه الأيام التي تشهد تطوراً مذهلاً في تكنولوجيا الفضاء، وعلينا أن نعترف بانحسار الوقت المخصص للقراءة ومنح الوقت الباقي – وهو كثير – للتليفزيون.. وللأسف فإن هذا الوقت يضيع إما بين برامج منوعة هي بمثابة مضيعة للوقت، أو برامج ثقافية ضعيفة لا تسمن ولا تغني من جوع أو عطش ثقافي"(١).

ولا شك في أن تأثير شبكة الإنترنت في هذا الجانب أبلغ وأكبر؛ وذلك لأن الكثير من الطلاب والباحثين عزف عن الكتب والبحث والتجريب، بسبب سهولة الحصول على المعلومة من طريق المواقع الالكترونية ومحركات البحث دون عناء يذكر.

وبسؤال أفراد العينة التي أجريت عليها الدراسة عن تأثير شبكة الإنترنت سلباً في قراءة الناس للكتاب كانت الإجابة كالتالي:

٥٢,٢٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يعتقدون أن هذه الشبكة أثرت سلباً في قراءة الناس للكتاب، في حين أن ٣٩,٢٪ من عينة الدراسة يعتقدون إلى حد ما بأن شبكة الانترنت أثرت سلباً في قراءة الناس للكتاب، في مقابل ٨,٦٪ من تلك العينة لا يعتقدون بأن هذه الشبكة أثرت سلباً في قراءة الناس للكتاب.

(١) أين ذهب الكتاب في عصر الفضاء؟، علي عقلة عرسان، (ص ١١).

ومن سلبيات تلك الوسائل في الجانب التربوي والثقافي تناقض ما تقدمه مع الأسس التربوية والتعليمية، فغالب تلك المواد تسير عكس اتجاهها، وهذا ما يحدث ازدواجية بين ما يتعلمه الفرد في المؤسسات التربوية والتعليمية وبين مضمون تلك الوسائل، وهذا له أثره البالغ في ثقافة وسلوك وفكر المشاهدين، وفي بعض الأحيان يكون ذلك التناقض والتعارض بين تلك القنوات أنفسها مما يؤدي إلى تداخل وتعارض بين الخطابات والأفكار المقدمة، وتشابه وازدحام في المفاهيم والدلالات في ذهن المتلقي، وهذا بلا شك له تأثيره الواضح في عقول وأفكار الناس.

- **إضعاف اللغة العربية:**

حاولت الدول المستعمرة منذ بداية استعمارها للدول العربية والإسلامية نشر لغاتها بأي وسيلة، وبعد خروجها من تلك الدول تكفلت الأدوات الثقافية والاتصالية وبخاصة التلفزيون والكمبيوتر بتلك المهمة، وبحسب الخبرة التاريخية في السيطرة الثقافية، كان من الطبيعي أن تحرص المجتمعات الغربية الحديثة على نشر لغاتها عالمياً من خلال وسائطها وتقنياتها الاتصالية بدعوى أن توحيد لغة الاتصال تتيح نشر أكبر حجم من المعلومات والأنباء وتخزينها بأقل تكلفة، ويؤكد دعاة اللغة العالمية أن ذلك التوحيد اللغوي سيقود في عصر الأقمار الصناعية إلى تكوين وسيلة تخاطب واحدة تتأقلم مع تطور عقليات البشر أكثر مما تستند إلى الذاكرة، ولقد بلغ الوضع اللغوي في العالم حداً سلّم فيه كثير من الأمم بهيمنة اللغة الإنجليزية خاصة، وتكريسها كأهم وسيلة للاتصال والثقافة على الصعيد الدولي[١].

وإذا كان لا ينكر في هذا العصر ما للغة الإنجليزية من شيوع فإن للتجانس اللغوي خطورة ثقافية بالغة على المجتمعات النامية وبخاصة المسلمة، من شأنها أن تمس أهم مقومات الثقافة الإسلامية وهي اللغة العربية، كما أن تلك اللغة ليست مجرد حروف جامدة، بل إنها تحمل في مضامينها ثقافة وفكراً

---

(١) انظر: النظام الإعلامي الجديد، د. مصطفى المحمودي، (٢١٢ - ٢١٣).

يحاول أصحابه نشره والتسويق له، وهو – في حقيقة الأمر – مخالف للثقافة والدين الإسلامي جملة وتفصيلاً.

وها هم يتباهون بانتشار لغتهم وعالميتها، فيقول (ريموند ماك نير) أحدرجال الكنيسة:

"إن إرادة الله رفعت اللغة الإنجليزية كأداته الرئيسة التي بها سينشر ويعلن الأخبار الطيبة لمملكته القادمة لمعظم العالم في نهاية العصر.. ليست الإنجليزية فحسب هي لغة الكتابة والإذاعة والكلام والتفاهم في كل القارات، ولكنها أصبحت اللغة المشتركة، اللغة العالمية للدبلوماسية والتعليم والعلم والتجارة والرياضة"(١).

والملاحظ: أن معظم القنوات الفضائية يبث بلغة غير العربية، بل إن نسبة القنوات العربية لا تكاد تذكر في مقابل القنوات الأجنبية، كما أن برامج ومواد القنوات العربية لا تبث في الغالب باللغة العربية، بل إن غالبها – كما سبق – من المواد المستوردة، والجزء الآخر يعرض بلهجات عامية محلية، وما يعرض فيها من برامج باللغة العربية – علاوة على قلته وندرته بالنسبة للبرامج الأخرى – غير مرغوب فيه لدى المشاهدين، بل كثيراً ما يثير استهجانهم وتهكمهم عند سماع تلك الألفاظ والمصطلحات العربية الأصلية، وهذا بلا ريب سببه كثرة البرامج والمواد التي تبث باللغة الأجنبية وباللهجات العامية حتى صار الناس لا يطيقون سماع لغتهم الأصلية لغة القرآن.

وإذا نظرنا إلى الشبكة العالمية نجد أن المحتوى العربي فيها لا يتجاوز ٠,٥ ٪ من المحتوى العالمي للشبكة، في مقابل ٩٩,٥٪ يعرض بلغات أجنبية أخرى في مقدمتها اللغة الانجليزية، وهذا – بلا شك – له أثر كبير في إضعاف اللغة العربية في المجتمعات الإسلامية، حتى غدا أبناء المسلمين لا يعرفون

---

(١) وسائل الإعلام الغربية والصراع الثقافي، د. صالح أبو أصبع، مجلة الأدب، بيروت، العدد (٣،٤)، مارس وإبريل عام ١٩٨٢.

لغتهم، ولا يجيدون التحدث بها، بل وصل بهم الحال إلى أنهم يتكلمون أحياناً ببعض الألفاظ والمصطلحات الأجنبية ويظنون أنها من اللغة العربية.

* الخطر السلوكي والأخلاقي:

تتعرض أخلاق وسلوكيات المجتمعات المسلمة إلى هجمة شديدة من خلال المواد الإعلامية والإعلانية التي تبث في وسائل الإعلام المرئي، فالمتتبع لتلك البرامج والمواد يصاب بالدهشة والذهول لما يشاهده من معاول الهدم الكثيرة التي تتوجه إلى القيم والأخلاق الإسلامية،" لتقيم على أنقاضها قيماً غربية نكره تفترس الخلق والدين، وتعبث بلبنات تلك الحضارة الشامخة التي أقامها الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً، وأرسى قواعدها شرقاً وغرباً"(١)

واستهدافهم لأخلاق الإسلام والمسلمين ليس أمراً عفوياً غير مقصود، بل هو – في الحقيقة – أمر مدبّر ومخطّط له، يسعون من ورائه للقضاء على الإسلام وأهله والسيطرة عليهم، ولهذا جاء في البروتوكول الثالث عشر من برتوكولات حكماء صهيون: "يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان؛ لتسهل سيطرتنا"(٢)

وهذا يعني أن هناك علاقة وثيقة بين انهيار الأخلاق والسلوكيات، وبين القضاء على قوة الأمة والسيطرة على مقدراتها.

وعند التأمل في مضامين تلك المواد المقدمة للمشاهدين – ولاسيما في البرامج المفضلة التي يكثر عدد متابعيها – وما تحاول نشره من قيم نجد أنها تتكون من عدد من المجموعات – كما يذكر د. سعيد آل زعير في دراسة له – كل مجموعة تشتمل على عدد كبير من القيم:

١ – مجموعة القيم الوافدة من بلاد الغرب (أمريكا وأوربا الغربية) وهذه المجموعة تمثل قيم السلوك الاجتماعي في الأفلام الغربية وهي تقدم من

(١) آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع، مروان كجك، (ص٩٧).
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون (ص٥٤).

خلاله أساليب الحياة الغربية، وما يعرض في تلك النوعية من قيم تتصل بالعنف والجريمة، والجنس، والبوليسية وغيرها من القيم السائدة هناك.

٢ - مجموعة القيم الثقافية الوافدة من البلاد الشرقية، وهذه المجموعة تمثل القيم الثقافية المنبثقة من الفكر الشيوعي، وهي مبنية على أصل إنكار الخالق فالعلاقة بين الأفراد والجماعات مبنية على هذا الأساس عندهم، وما يعرض من مواد تفد إلى البلاد الإسلامية تصطبغ بهذه الصبغة في معظمها.

٣ - مجموعة قيم الأفلام العربية: غالب الأفلام العربية تتجه إلى التأثر بالإنتاج العالمي في مضامينه وأساليب العرض في الاعتماد على الإثارة بكل أنواعها، حتى الإثارة الجنسية المستهجنة أحياناً تظهر فيها كأسلوب من أساليب الأفلام العربية، وهذه الأفلام في معظمها لا تمثل الثقافية العربية الإسلامية الأصيلة، ولا تمثل واقع البلاد العربية التي تنتج فيها، فهي تحمل قيماً دخيلة على الفكر الإسلامي وعلى الخلق العربي النبيل.

٤ - مجموعة قيم الترفيه والتسلية بالموسيقي، والرقص، والغناء والبرامج الرياضية، ومباريات كرة القدم، ومعظم القيم السائدة في هذه المجموعة تتجه إلى الترفيه والتسلية والبعد عن الجد في أمور الحياة، وإضاعة ساعات طويلة من اليوم في التسلية والترفيه[(١)].

هذه هي القيم السائدة في الوسائل الأجنبية وفي غالب الوسائل العربية؛ ولهذا لا نستغرب - للأسف - هذا الأثر والتغير السريع في أخلاق وسلوكيات أفراد المجتمعات الإسلامية في هذه الأزمنة بسبب تلك الهجمة الشرسة الموجهة إلى القيم والمثل الإسلامية من خلال أساليب كثيرة ومتنوعة يغلب عليها الترفيه والتسلية والمتعة، لتكون أدعي للقبول وأسرع في التغيير.

---

(١) انظر: التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، د. سعيد بن مبارك آل زعير، (ص٢٦٩ - ٢٧٠).

وبسؤال العينة التي أجريت عليها الدراسة عن تأثير تلك الوسائل ولاسيما الشبكة العالمية في الأخلاق الإسلامية كانت النتيجة كالتالي:

٣٨,٥٪ من أجمالي أفراد عينة الدراسة يعتقدون أن هذه الشبكة تشكل خطراً على الأخلاق الإسلامية، في حين أن ٤٢,٦٪ من عينة الدراسة يعتقدون إلى حد ما أن هذه الشبكة تشكل خطراً على الأخلاق الإسلامية، مقابل ١٨,٩٪ من تلك العينة لا يعتقدون أن هذه الشبكة تشكل خطراً على الأخلاق الإسلامية.

والواقع أن الأخطار الأخلاقية والسلوكية لهذه الوسائل كثيرة ومتنوعة، وسنذكر فيما يلي أهمها بشيء من الاختصار:

- الترويج للأخلاق السيئة:

تعرض بعض وسائل الإعلام المرئي الكثير من موادها وهي تحمل بين طياتها الترويج لأخلاق سيئة دخيلة نهي عنها الإسلام، سواء أكان ذلك بشكل مباشر من خلال عرضها وتزيينها والكذب على الناس بنتائجها الصحيحة وعواقبها السليمة، أو بشكل غير مباشر من خلال كثرة عرضها وإيهام الناس بانتشارها في المجتمعات، واعتياد الناس عليها، وعدم إنكارهم لها.

والناظر لتلك المواد لا يكاد يجد مادة منها إلا وهي مشتملة على خلق من الأخلاق الرديئة قد تخلق به ممثل أو ممثلة أو بطل أو بطلة - كما يزعمون - وأخذ يسوّقه للناس من خلال عرضه لتلك المشاهد والأعمال.

ومن أمثلة ذلك: الكذب، إذ جلّ المسلسلات والأفلام والمواقع تعرض من خلال موادها هذا الخلق بصورة حسنة وأنه لا بأس به، بل إنه قد يكون في كثير من الأحيان ضرورة لابد من استخدامها، وأن الناس في هذه الأزمان لا يمكنهم العيش بدونه، ولهذا نجد الولد في تلك الأعمال يكذب على والده، والبنت تكذب على أمها، والموظف يكذب على رئيسه، وهكذا حتى غدا هذا المنكر وكأنه معروف لا بأس به.

ومنها - أيضاً -: الغش، حيث يصّور في غالب تلك الوسائل لا على أنه

خلق ذميم نهي عنه الشرع والدين والعرف، بل يوهم الناس من خلال تلك الأعمال أنه ذكاء وفطنه وشطارة لا يمكن الكسب ولا التجارة ولا الحصول على الوظائف العالية والمراكز المرموقة بغيره.

وأما الخيانة والعقوق والتمرد فهي الورقة الرابحة في يد أكثر مخرجي تلك الأعمال، إذ لا يكاد عمل من الأعمال يخلو من عرض مشهد أو حدث يتضمن تلك الأخلاق أو أحدها، يزعمون بذلك أنهم يعرضون في تلك الأعمال واقع المجتمعات، ويتذرعون أنهم يساهمون بها في تحذير وتوعية المجتمعات من خطورتها، غير أننا نجد – في حقيقة الأمر – أن تلك الأعمال لا تمثل واقع مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة البتة، وأنهم من خلال كثرة عرضهم لتلك الأعمال والمشاهد قد ساعدوا بطريقة غير مباشرة على نشرها بين أفراد المجتمع.

ومن أسوأ الأضرار الأخلاقية لمشاهدة تلك القنوات ودخول تلك المواقع: أنها قتلت الغيرة في نفوس كثير من الرجال؛ لما يعرض فيها من مناظر العري والتفسخ والاختلاط، إضافة إلى المشاهد والأعمال التي تمقت الغيرة وتنفر منها، وتصّور الرجل الغيور بصورة المتخلف الرجعي، وتجعله مثاراً للسخرية والاستهزاء والضحك.

وكما أنها قتلت الغيرة في نفوس الكثير من الرجال فإنها – أيضاً – كان لها تأثير واضح في حياء بعض النساء، وذلك أن تلك الوسائل وبما تعرضه في أفلامها وبرامجها وحواراتها ولقاءاتها من نساء سافرات حاسرات عن رؤوسهن، متبرجات بزينتهن، كاشفات لأجسادهن ومواضع الفتنة فيهن، فيه دعوة بلسان الحال والمقال إلى نبذ الحياء والتخلي عنه؛ ولهذا بدأنا نلمس في هذه الأيام بعض المظاهر الغربية: كتخلي المرأة عن حجابها، ولبسها للملابس العارية الفاتنة، والتساهل في الاختلاط بالرجال، والخضوع في القول، وعدم قرارها في بيتها، وجريها خلف ما يسمي بالموضة، وتقليدها للنساء الغربيات في الكثير من الأمور.

هذه أمثلة من الأخلاق السيئة التي تعمل غالب تلك الوسائل على ترويجها ونشرها بين أفراد الأمة الإسلامية، وإلا فهي في الواقع كثيرة، لو أردنا حصرها واستقصاءها لطال بنا المقام.

- إشاعة الفاحشة والرذيلة وتسهيل ارتكابها:

إن من الآثار الأخلاقية المتوقعة لهذه الوسائل: إشاعة الفاحشة والرذيلة بين أفراد المجتمعات، والترويج للعلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، وذلك عن طريق إثارة الغرائز وتحريك الشهوات، لاسيما عند الشباب والمراهقين من خلال ما يعرض أمامهم من مشاهد ومقاطع تمثيلية إغرائية.

إن تلك الوسائل في البداية تعمل على تزيين إقامة العلاقات بين الشباب والفتيات، بل إنها تحاول في غالب موادها جعل تلك العلاقات من الأمور الحتمية التي لابد منها لكل شاب وفتاة؛ ولهذا فهي ترشدهم وتعلمهم أساليب التعارف وطرق ترتيب اللقاءات وكيفية نصب الشباك للإيقاع بالجنس الآخر بعبارات جذابة مغرية وحركات فاتنة.

تقول إحدى الفنانات: "إن أعمالنا الفنية تعلّم الناس عصيان الوالدين، وتعلّم البنت المراهقة كيف تقابل شاباً بغير علم أهلها"[(١)].

وقد أثبت العديد من الدراسات أن عدداً ليس بالقليل من أفراد المجتمعات الإسلامية غير راضٍ عن غالب تلك المواد والأعمال التي تعرضها وسائل الإعلام المرئي، والسبب في ذلك اعتقادهم أنها تساعد على الانحراف، وتفسدَ الأخلاق، وتدفع الشباب والفتيات للانحراف وتدعو إلى الفاحشة والرذيلة.

وفي دراسة أجراها الدكتور: محيي الدين عبد الحليم عن الدراما توصل فيها إلى ما يلي: أن نسبة ٥٥٪ من الإناث، و٧٧٪ من الذكور يرون في هذه الأعمال أنها تؤدي إلى الانحراف وتدعو إلى الرذيلة وتتنافى مع عادات المجتمع[(٢)].

---

(١) الفن الواقع والمأمول، د. خالد الجريسي، (ص٦٤).

(٢) انظر: آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع، مروان كجك، (ص١٣٥).

ولقد ثبت علمياً وجود علاقة بين الأفلام العاطفية ذات القصص الغرامية ووجود الانحرافات الأخلاقية، ففي دراسة أجريت على عدد من الفتيات المنحرفات صرّح ٢٥٪ منهن بارتكاب فاحشة الزنا عقب مشاهدتهن لقصص حب عاطفية(١).

ففي دراسة أخرى حديثة أثبتت أن نسبة عالية من الشباب الخليجي في سن المراهقة يترجمون ما يقدم في تلك الوسائل من أعمال إلى وقائع حية تؤثر سلباً في أنفسهم وأهليهم، وتشير الدراسة إلى أن نسبة ٥٠٪ من المشاهدين يفكرون فور مشاهدتهم لبرنامج إجرامي أو إباحي بشكل جدي في تطبيق ما يشاهدونه بشكل فعلي.

ولعل أخطر ما يهدد مجتمعاتنا وشبابنا في هذا الجانب تلك القنوات والمواقع الإباحية الصريحة، التي تسعي إلى نشر الفاحشة وإشاعة الرذيلة والدعوة المباشرة للزنا والشذوذ من خلال ما تعرضه من مواد وصور إباحية جنسية، وقد انتشرت تلك القنوات والمواقع في الأيام الأخيرة انتشاراً كبيراً وأصبحت متخصصة تقدم خدمات الرذيلة والعهر والفساد مستهدفة شباب وفتيات المسلمين؛ لتقتل في نفوسهم أغلى ما يملكون من دينهم وأخلاقهم وعزتهم وكرامتهم، ولتعلق قلوبهم وأهواءهم بالرذيلة، وتفتنهم؛ لتدمر وتفسد وتقضي على ما تبقي لديهم في هذا الزمن من مبادئ وقيم.

وقد بلغت هذه القنوات في نهاية سنة ٢٠٠٤م أكثر من ٦٤ قناة تلفزيونية فضائية عالمية متخصصة في البرامج الإباحية في قارة أوروبا وحدها، وذلك حسب إحصاء قامت به إحدى شركات أدلة القنوات الفضائية(٢).

هذا في أوربا وحدها، وأما في أمريكا فقد صرحت وزارة العدل الأمريكية قائلة: "لم يسبق في تاريخ وسائل الإعلام بأمريكا أن تفشّى مثل هذا العدد الهائل الحالي من مواد الدعارة أمام هذه الكثرة من الأطفال في هذه الكثرة من

---

(١) انظر: العفة ومنهج الاستعفاف، يحي سليمان العقيلي، (ص ٥٤ – ٥٥).
(٢) انظر: الإباحية وتبعاتها، دمشعل بن عبد الله القدهي، (ص١٥١ – ١٥٢).

البيوت بغير أي قيود"، وتقول نائبة المدير العام لشركة التسويق youth Trends: "لو قارنا الوضع الحالي بالوضع قبل عشر سنوات لوجدنا الجنس أصبح الآن منتشراً في كل مكان"[(١)].

وتحظى هذه القنوات – للأسف – بانتشار واسع في الشرق الأوسط؛ وذلك بسبب بيع الأجهزة المستقبلة لها في السوق السوداء دون تبعات أمنية من قبل السلطات، أو تبعات لا ترقي إلى مستوى الجرم الذي يقترفونه بحق المجتمع.

وأما شبكة الإنترنت فلها في هذا الجانب الحظ الأوفر، إذ قدر عدد المواقع الإباحية في الشبكة العالمية عام ١٩٩٧م بنحو ٧٢٠٠٠ موقع، مع نشوء ٢٦٦ موقعاً إباحياً جديداً كل يوم، وفي عام ٢٠٠٣م وصل عدد المواقع الإباحية إلى ٤,٢ مليون موقع، و٣٧٢ مليون صفحة إباحية، وإذا نظرنا إلى طلبات البحث التي تقدم من خلال محركات البحث فإننا نجد أن ما يقرب من ٢٥٪ من تلك الطلبات هي عمليات بحث عن مواقع أو صفحات أو مواد وصور إباحية[(٢)].

وفي الدراسة التي أجريناها ظهر لنا أن ٣٦,٤٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة قد جرت دعوتهم من خلال شبكة الانترنت لزيارة مواقع إباحية، وأن ١٦٪ من تلك العينة قد زاروا تلك المواقع فعلاً، في حين أن ٤٤,٥٪ من إجمالي عينة الدراسة قد عرضت عليهم صور ومواد إباحية من خلال الشبكة.

وهذه النسب والأعداد تبين لنا مدى خطورة تلك القنوات والمواقع على أخلاق أفراد الأمة الإسلامية، وتزيد من التبعة والعهدة الملقاة على عاتق الحكومات والمؤسسات الإعلامية والتربوية والدينية والأسر وسائر أفراد المجتمع.

---

(١) المرجع السابق، (ص٢٥).
(٢) انظر: المرجع السابق، (ص ٣٧ – ٤٠).

- **الدعوة للعنف والجريمة:**

ومن الآثار السلبية لتلك الوسائل عرضها لبعض البرامج والمواد الإعلامية التي تحتوي على مشاهد العنف والجريمة، التي تصوّر للناس كيفية التخطيط لها، وتصف لهم تفاصيلها الدموية المرعبة، فتسوّق بذلك لظاهرة العنف والعدوان، ذلك أن "المشاهدة المستمرة لمشاهد العنف الجسمي، والقسوة البدنية، والمواقف المرعبة تؤدي على المدى الطويل إلى تبلد الإحساس بالخطر، وإلى قبول العنف كوسيلة استجابية لمواجهة بعض مواقف الصراعات، أو ممارسة السلوك العنيف ذاته، كما أن عرض صور حياة الرفاهية والبذخ الكبير لدى بعض الطبقات الموسرة قد تضاعف الشعور بالرغبة الطاغية لبلوغ مثل هذه المستويات المرموقة العالية، فإن تعذر بلوغها بالطرق المشروعة فلا بأس من بلوغها بطرق غير مشروعة"(١).

وقد نشرت منظمة "الائتلاف الدولي ضد العنف التلفزيوني" بحثاً استغرق إجراؤه (٢٢)، عاماً كان من نتائجه: أن هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التلفزيوني في الستينيات وارتفاع الجريمة في السبعينيات والثمانينيات، وقالت المنظمة: إن ما يتراوح بين ٢٥٪ و ٥٠٪ من أعمال العنف في سائر أنحاء العالم سببها مشاهد العنف في وسائل الإعلام، ويقول الدكتور (رويل هيوزمان) أحد المشاركين في الدراسة: إن هذه النتائج هي أول سجل للآثار البعيدة المدى لمشاهدة العنف التلفزيوني، ويقول أيضاً: إن ذلك يجعل الأطفال يكتسبون عادات عدوانية بحيث يصبحون عندما تتقدم بهم السن أكثر ميلاً إلى الأعمال الإجرامية"(٢).

كما أثبتت الدراسات والتحقيقات التي أجرتها الجهات الأمنية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وبريطانيا ومصر في أعقاب عدد من جرائم العنف في تلك البلدان، أنها قد ارتكبت بعد أن شاهد أصحابها أفلاماً قريبة جداً

---

(١) العنف في وسائل الإعلام وأثره على الناشئة والشباب، عدنان الدوري، (ص١٣١).

(٢) انظر: الإنسان حيوان تلفزيوني، محسن محمد، (ص٣١٦).

منها، بل إن تلك الجرائم جاءت نتيجة لمشاهدة تلك الأفلام ومحاولة تطبيقها في الواقع، وذلك كما جاء في اعترافات أولئك المنحرفين الذين اقترفوها.

ويعظم الخطر إذا عرفنا أن تلك البرامج والمواد تستهوي عدداً كبيراً من المشاهدين، بل إن بعضهم قد بلغ الحال به إلى درجة إدمان متابعة مثل تلك المواد، ففي دراسة حديثة على طلاب مرحلة الثانوية تبين منها أن ٦٥,٩٪ من الطلاب يتابعون ويحبون أفلام الرعب والعنف، في حين أن ٣٤,١٪ من تلك العينة يتابعون البرامج الدينية التي تدعو إلى المحبة والتسامح[(١)].

ومن المهم في هذا الموضوع: أن نشير إلى أن الأطفال هم أكثر فئات المجتمع تأثراً بما يعرض في وسائل الإعلام وما يشاهدونه في تلك القنوات أو المواقع، لاسيما مشاهد العنف والجريمة، فتكرار مشاهدة الأطفال للمعارك العنيفة التي تستخدم فيها الأيدي والأسلحة النارية أو السكاكين لا يمكن أن تكون عديمة الأثر، بل على العكس فهي تنمي في الطفل بعض المشاعر العدوانية، وتعلمه ممارسة بعض أنماط السلوك العدواني، لاسيما إذا أخذنا في الحسبان رغبة الأطفال في التقليد والمحاكاة لما يشاهدونه.

ومن أمثلة ذلك: ما قام به أحد الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة، إذ أقدم على الانتحار تقليداً لما شاهده في مسلسل تركي، تقول شرطة رأس الخيمة: إن الطفل عيسى حسن علي (١٢ عاماً) انتحر في غرفته، بعد أن لف رقبته بحزام – اعتاد استخدامه لحزم كتبه المدرسية – وعلّق نفسه في ستارة الغرفة، وفارق الحياة على الفور، ونقلت صحيفة "الإمارات اليوم" عن أم الطفل: أن ما دفع ابنها للانتحار هو محاولته محاكاة مشهد انتحار لأحد أبطال المسلسل التركي "دموع الورد"[(٢)].

وفي هذا الجانب يؤكد العالم الألماني "مارتن كايسلهيكر" أن أطفال اليوم

---

(١) انظر: الفضائيات والانترنت وأثرها على الطلاب، عصام الشايع، (ص٤٨).

(٢) ورد هذا الخبر في جريدة الرياض السعودية العدد (١٤٨٠٢) بتاريخ ٥ محرم ١٤٣٠هـ، ٢ يناير ٢٠٠٩م.

ليسوا مشاهدين فقط، وإنما هم شركاء في الأحداث وفي التمثيل، فهم يعيشون في الحدث ويشاركون فيه، ويتأثرون بالتجربة تأثيراً واقعياً"[(١)].

والحاصل: أن تكرار عرض تلك المشاهد والأحداث التي أصبحت مادة أساسية لجلّ الأفلام والمسلسلات والمواقع وكثر متابعوها ومشاهدوها يؤثر تأثيراً بالغاً في أفراد المجتمع ولاسيما الأطفال، ويدفعهم ويشجعهم على ارتكاب جرائم السرقة والنصب والاحتيال والقتل والانتحار والضرب بشكل مباشر أو غير مباشر.

- التعود على رؤية المنكر وعدم إنكاره:

يورث استمرار عرض المواد الإعلامية التي تشتمل على منكرات نهى الشرع عنها عند المشاهدين حالة من تبلد المشاعر وموت الإحساس تجاه تلك الأعمال، أو ما يسميه بعض العلماء "الإلغاء بالتعود"، فالمشاهد بكثرة رؤيته لتلك التصرفات والمواقف المنكرة، واستمرار عرضها في وسائل الإعلام على مرأى من الجميع، تصبح لديه كأنها من الأمور المعروفة التي لا حرج في ارتكابها، ويزداد الأمر خطورة إذا صاحب ذلك جهل من بعض المشاهدين بأحكام دينهم وشريعة رسولهم صلى الله عليه وسلم، فيصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وهذا هو غاية ما يريده أولئك الأعداء من أبناء الأمة الإسلامية.

* الخطر الاجتماعي:

سبق أن ذكرنا اعتراف منظمة اليونسكو في إحدى دراساتها بأن "إدخال وسائل إعلام جديدة وبخاصة التلفزيون في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين، وممارسات حضارية كرسها الزمن"[(٢)].

ومن الواضح - أيضاً - من خلال واقع المجتمعات اليوم أن الثورة الاتصالية والانفتاح الإعلامي العالمي كان له أثره البالغ في الأنماط والقيم

---

(١) الانترنت والقنوات الفضائية ودورهما في الانحراف والجنوح، د. عبد الكريم الحربي، (ص٢٨٢).

(٢) انظر: ما تقدم (ص ٢٢).

والعلاقات الاجتماعية، إذ إن جلّ المواد الإعلامية في تلك الوسائل تحمل في مضامينها أنماطاً وقيماً وتقاليد دخيلة على مجتمعاتنا الإسلامية؛ ويمكن إيجاز أهم تلك التأثيرات فيما يلي:

- محاولة ترسيخ العادات والتقاليد غير الإسلامية:

لا ينكر أحد أن تلك القنوات الفضائية والمواقع الالكترونية وما يعرض فيها من مواد برامجية تنتمي إلى فكر وثقافة معينة لها قيم وعادات وتقاليد خاصة، وأنها في الغالب تخالف فكر وثقافة وتقاليد الأمة الإسلامية، بل إنها في أكثر الأحيان تخالف قيم ومصالح كل مجتمع غير المجتمع الذي أعدّت فيه ما لم يكن ذلك المجتمع امتداداً وتابعاً لها.

ويسعى كتّاب ومنتجو تلك المواد لنشر عاداتهم وتقاليدهم من خلال عرضها في مشاهد تمثيلية أو أعمال درامية أو لقاءات حوارية أو معلومات تعريفية وثائقية أو حتى في أفلام كرتونية خاصة بالأطفال، تصور تلك الأنماط بصورة حسنة تدعو إلى الإعجاب والانبهار بها ثم تقليدها ومحاكاتها.

وفي المقابل يحرص هؤلاء ومن خلال تلك الوسائل - أيضاً- على تشويه العادات والقيم التي تتميز بها الأمة الإسلامية، ويصورونها على أنها علامات تخلف ودليل على الرجعية، وأن الانفتاح والتقدم لا يكون إلا بنبذها وتغييرها، وهم بهذه الوسائل وغيرها يحاولون ترسيخ عاداتهم وتقاليدهم من خلال الدعوة إلى عولمة المجتمعات.

وقد أظهر العديد من الدراسات أن العادات والتقاليد والاهتمام بأعراف المجتمع الإسلامي في المأكل والملبس، وتكوين العلاقات الاجتماعية السليمة، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الفردية، واحترام الكبار، وحب الخير للآخرين قد جرى تجاهلها في الكثير من المواد والبرامج الإعلامية، لاسيما تلك التي تخاطب الشباب والأطفال، بل إنها تعرض في بعض الأحيان بشكل سلبي مشوه يدعو إلى النفور منها وترك التمسك بها(١).

(١) انظر: الفضائيات وأثرها على النشء والمجتمع، د. سعيد بن معيوف الثمالي (ص ٢٣).

ولهذا أصبحنا نرى الكثير من العادات الغربية الغريبة تنتشر بين المسلمين كمخالطة النساء للرجال في أماكن العمل وفصول الدراسة ووسائل المواصلات والشواطئ.

تقول الصحفية الأمريكية هيليان ستانبري: "أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم.. امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، إن ضحايا الاختلاط يملؤون السجون.. إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبي قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق"-.

وكذلك تشبه النساء بالرجال أو ما يسمى "استرجال النساء" تلك الظاهرة التي نقلتها لنا وسائل الإعلام الغربية على أنها صفة حسنة تتميز بها المرأة الغربية، فقامت بعض النساء بتقليدها ومحاكاتها، وقد سئلت بعض الطالبات الجامعيات عن أسباب هذه الظاهرة فأجاب ٢٤٪ منهن أن السبب يرجع إلى القنوات الفضائية، ومن ذلك أيضاً تشبه الرجال بالنساء، فهو من الظواهر الغريبة على المجتمعات الإسلامية التي أصبحت تنتشر في الكثير من الدول، لاسيما بين الشباب والأطفال، ولا شك في أن لها أسباباً كثيرة تربوية ونفسية وأحياناً عضوية، إلا أن لوسائل الإعلام التي أكثرت من عرض المشاهد والصور في هذا الجانب دوراً مؤثراً في ظهورها وانتشارها، ومنها – أيضاً -: سيطرة المرأة على الرجل وإضعاف قوامته عليها بدعوى الحرية، فالملاحظ أن تلك الوسائل لها أثر كبير في إقناع المرأة برفض قوامة الزوج عليها، فهي تصور الزوج على أنه سجان قاهر، والقوامة سيف مسلط، حتى أوجد ذلك في نفوس النساء أنفة واشمئزازاً وبحثاً عن الانطلاق بلا قيود(١).

وهذا يعني أن تلك العادات الغربية والتقاليد غير الإسلامية التي انتشرت في العديد من المجتمعات الإسلامية كان لوسائل الإعلام جانب كبير في نشرها وترسيخها في نفوس أبناء الأمة الإسلامية.

- التأثير السلبي في العلاقات الاجتماعية:

إن من القيم المرعية التي حث عليها الإسلام: صلة الرحم بين ذوي

---

(١) انظر: أثر القنوات الفضائية في تخريب المرأة، فهد بن عبد العزيز الشويرخ، مجلة الجندي المسلم، العدد (١١٩ – ١٢٠)، سنة (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، (ص٩٥ – ٩٩).

القربى، كما أن من عادات المسلمين التي تميزهم من غيرهم التزاور فيما بينهم بشكل مستمر وتفقد أحوال أقربائهم ومعرفة أخبارهم، إلا أن من الملاحظ: أن تلك المفاهيم قد بدأت في الأيام الأخيرة تقل نسبياً عما كانت عليه في السابق، والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا الموضع: هل لوسائل الإعلام - ولاسيما المرئي - منها أثر في إضعاف تلك العلاقات الاجتماعية؟.

إن تلك الوسائل بلا شك قد أثرت في الوقت بشكل عام، ووقت الفراغ الذي كان يقضى جزء منه في التواصل الاجتماعي بشكل خاص، وهذا ما أثبته العديد من الدراسات العلمية على عينات مختلفة من المجتمعات الإسلامية.

ومن ذلك: ما جاء في دراسة على المجتمع الأردني، كانت نتيجتها أن ٥٢,٥٪ من الجامعيين يرون أن التلفزيون قد قلل من عادات التزاور بين الناس، بينما جاءت نتيجة دراسة على المجتمع الكويتي أن ٦٣,٩٪ من مجموع العينة يرون أن الدورة الصباحية للتليفزيون قد ساعدت على التقليل من الزيارات الصباحية.(١)

وأما فيما يختص بشبكة الإنترنت فقد جاء في الدراسة التي قمنا بها أن ما يقرب من ٤٣٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة قد أقروا بأن دخولهم لهذه الشبكة يؤثر سلباً في القيام بواجباتهم الاجتماعية بدرجات مختلفة.

وهذا يعني أن تلك الوسائل قد أحدثت نوعاً من التباعد الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وما يخشى منه هو: أن يصل ذلك التباعد إلى حد المقاطعة مع المجتمع.

- التأثير السلبي أيضاً على العلاقات الأسرية:

من الآثار الاجتماعية لتلك الوسائل: تأثيرها الواضح في العلاقات بين أفراد الأسرة، فبعد دخول تلك الوسائل في حياة الناس وانتشارها بينهم ظهر العديد من المشكلات التي لم تكن في الغالب موجودة قبل مجيئها، وهذا الأمر

---

(١) انظر: التليفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية د. سعيد آل زعير (ص ٢١٣).

رغم وضوحه وظهوره على أرض الواقع بين العديد من الأسر وفي كثير من البيوت، فلا بأس بأن نستدل ببعض الدراسات التي أثبتت هذا الأثر، ومنها على سبيل المثال: دراسة قام بها الدكتور سعد عبد الرحمن على عينة من أفراد المجتمع الكويتي كان من نتائجها أن ٦٠٪ من أفراد تلك العينة أقروا بأن التلفزيون سبب في بعض المشكلات الأسرية.(١)

وهذه المشكلات كثيرة ومتنوعة، فمنها: ما يكون بين الأزواج، ومنها: ما يكون بين الأبناء وأولياء أمورهم، فكم من خلاف نشب بين الزوجين وكان سببه تلك القنوات أو المواقع، وكم من أسرة حولت تلك الوسائل حياتها "من سمات الطهر والحياء إلى صفات الدناءة والوقاحة، وكم من بيت كانت تخيّم عليه السعادة والاحترام والمودة، انقلب بين يديها إلى بيت النكد والكراهية والخصام، وكم أسرة قامت دعائمها على الحب والإيثار والتفاهم، قذفت بها تلك الوسائل في جحيم البغضاء والخصام والمشاحنة".(٢)

فعلى سبيل المثال نجد أن ما يعرض في هذه الوسائل من مشاهد ومواد تعتمد على الإغراء والفتنة، وأحياناً على الإباحية والعهر والفجور لا شك في أنها تثير الغيرة عند أصحاب النفوس السليمة من المشاهدين، سواء أكانوا رجالاً أم نساء، فإذا رأت الزوجة تأثر زوجها ومتابعته لتلك المناظر وإعجابه بها، أو إذا رأى الرجل زوجته شغوفة بتلك المشاهد والمقاطع، كان ذلك سبباً في منع أحدهما الآخر من متابعة تلك المواد، وهذا يسبب- بل سبب فعلا- الكثير من المشكلات والخلافات بين الأزواج.

ومن ذلك – أيضاً –: أن الانشغال بمتابعة تلك الوسائل يحد من الحوار والمناقشة بين أفراد الأسرة، فالوالد الذي يقضي ما يقرب من سبع ساعات في عمله، وثماني ساعات في نومه، وعلى أقل تقدير خمس ساعات في متابعة القنوات الفضائية والدخول إلى شبكة الإنترنت لم يتبق له من ساعات يومه

---

(١) انظر التليفزيون والمشاهد – د. سعد عبد الرحمن (ص ٦).

(٢) آثار الفيديو والتليفزيون على الفرد والمجتمع مروان كجك (ص ٧٣).

سوى خمس ساعات، لصلاته وزياراته وارتباطاته الاجتماعية وقضاء حوائج بيته،كيف يجد وقتاً للجلوس مع عائلته وأبنائه ومحاورتهم ومناقشتهم وتربيتهم؛ وهذا بلا ريب خطر كبير يهدد حياة الأسر واستقرارها.

وأما فيما يتعلق بالأبناء فإن أبرز المشكلات التي تسببها تلك الوسائل يمكن إجمالها فيما يلي:

١ – انشغال الأبناء بتلك الوسائل وعدم استجابتهم لوالديهم وقضاء حوائجهم في أثناء متابعتهم وجلوسهم أمام التليفزيون أو الكمبيوتر، فاستغراق الأبناء واستمتاعهم بمتابعة تلك البرامج والمواد يمنعهم في الغالب من الاستجابة لآبائهم، هذا نوع من أنواع العقوق التي نهى الله ورسوله عنها، وسبب من أسباب المشكلات التي تحصل بين الآباء والأبناء.

ومن خلال الدراسة التي أجريناها تبين لنا أن ٣١,٩٪ من أفراد عينة الدراسة تؤثر متابعتهم للقنوات الفضائية في الاستجابة لآبائهم، في حين أن ٤٠٪ من أفراد عينة الدراسة أقروا أن دخولهم لشبكة الإنترنت يوثر سلباً في استجابتهم لأوامر آبائهم.

٢ – الخلاف بين الآباء والأنباء بسبب المنع من مشاهدة بعض البرامج والمواقع.

٣ – الخلاف حول استمرار الاستقبال لمادة برامجية معينة، أو الانتقال إلى غيرها، وبخاصة بعد كثرة القنوات الفضائية الخارجية والمحلية.

– تشويه مفهوم القدوة:

يحرص أصحاب تلك الوسائل والقائمون عليها – سواء من الغرب أو ممن افتتن بهم وبثقافتهم – على تشويه وتغيير مفهوم القدوة لدى أبناء المسلمين، وذلك بصناعة وإبراز بعض الشخصيات الغربية أو العربية التافهة وتسليط الأضواء عليها وإعطائها أهمية مصطنعة من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ووصفها ببعض الأوصاف البراقة كالنجومية والبطولة والشجاعة والنجاح، وهذا يدفع بعض ضعاف النفوس من شباب وفتيات الأمة إلى اتخاذهم قدوات،

ومحاولة تقليدهم ومحاكاتهم في أفعالهم وأشكالهم، بغض النظر عن موافقتها لثقافتنا وديننا أو مخالفتها لهما.

ولما كانت هذه الشخصيات تمثل أقصى ما يراد أن يبلغه الإنسان من الإباحية والفجور والميوعة والفساد، فقد أريد أن يكون شبابنا وفتياتنا نسخاً متكررة عنها، تنشر بهم في مجتمعاتنا الخلاعة، وتشيع بسببهم الفواحش والرذيلة.

وبسؤال أفراد العينة التي أجريت عليها الدراسة عن مدى تأثرهم بتلك القدوات المصطنعة كانت النتيجة أن ٣٢٪ من أفراد عينة الدراسة قد تأثروا فعلاً بأولئك الأشخاص، سواء أكانوا ممثلين أم لاعبين أم مطربين، وقد حاولوا بالفعل تقليدهم بدرجات متفاوتة.

وهذا يعني أن ما يقرب من ثلث العينة التي أجريت عليها الدراسة قد تأثروا – فعلاً – بتلك الشخصيات الفنية التي نصبتها وسائل الإعلام، وهي كما يظهر نسبة كبيرة تدل على خطورة ذلك الغزو القادم من الفضاء.

المبحث الرابع
وسائل مقاومة هذا الغزو

في ظل هذا التطور الواضح لوسائل الإعلام لاسيما المرئي، وهذا العدد الكبير من القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية، وهذا التغير المتسارع للمجتمعات بسبب تأثير تلك الوسائل في المعتقدات والأفكار والقيم والسلوكيات، لا شك أنه يجب على المجتمعات الإسلامية أن تتخذ لها وسائل مقاومة تكون بمثابة الأسلحة التي تستخدمها لصد أي نوع من أنواع العدوان، تدافع بها الأمة عن دينها وثوابتها وقيمها، وتحدّ من تأثير تلك الوسائل في أبنائها.

وقد ظهر مما سبق: أن هذا الغزو موجه للعالم الإسلامي بأكمله، وهذا يعني أنه يجب أن تكون المواجهة جماعية وعامة على مستوى العالم الإسلامي، تتعاون عليها الأقطار الإسلامية جميعاً، والحكومات كلها، والمؤسسات الرسمية والشعبية في المجتمع، والعلماء والأفراد والبيت، مع ضرورة التنسيق في الجهود لتتكامل في أداء مهمتها[(١)].

وقبل الحديث عن وسائل مقاومة هذا الغزو بالتفصيل، يحسن بنا التنبيه إلى أربع منظومات ذكرها د. عبد الله المجلي - أستاذ الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - يمكن من خلالها التصدي لما يبث في هذه الوسائل[(٢)]:

١ - منظومة التحصين: ويراد بها: تحصين أفراد الأمة ضدّ خطر تلك الوسائل.

٢ - منظومة التأثير: وهي تعني: إصلاح مسيرة تلك الوسائل بالأساليب المناسبة، ومحاولة إيجاد البديل المناسب.

---

(١) الغزو الفكري التحدي والمواجهة، د. إسماعيل علي محمد، (ص ٢٤٨).

(٢) أنظر: مجلة الدعوة (العدد: ١٧٣٦) محرم - ١٤٢١هـ (ص٣٢) ضمن ندوة بعنوان: القنوات الفضائية موعد مع الشيطان.

٣ - منظومة المواجهة: ويقصد بها: مواجهة هذا الغزو بكل الوسائل الممكنة، إذ يجب ألا يقتصر عملنا على الدفاع فقط.

٤ - منظومة المنع والحجب: ويراد بها: حجب تلك القنوات والمواقع، ومنع مشاهدتها(١).

وهذه المنظومات في الحقيقة تشكل نقاطاً رئيسة يندرج تحت كل منها عدة وسائل يجب على الأمة الأخذ بها والعمل على تطويرها؛ لتواكب هذا الغزو المنظم المدروس، الذي دبّر له في أعتى عواصم العالم، ووضعت له الخطط المبنية على دراسات وتقارير عن كل بيئة وكل بقعة من بقاع العالم الإسلامي، وصرفت له ميزانيات مهولة تقدر بالمليارات، وذلّلت أمامه الكثير من الصعاب، واستخدم فيه العديد من الوسائل والأساليب، كما أن هذه الوسائل لابد أن تناسب حال الأمة والمجتمعات، وتراعي الفروق والاختلافات، بحيث تتناسب مع كل فئة من الفئات.

ومن الوسائل التي يمكن من خلالها مقاومة هذا الغزو أو على الأقل الحد من تأثيره في المجتمعات ما يلي:

* توعية المجتمعات الإسلامية بخطورة هذا الغزو:

سبق أن أشرنا إلى أن هذا النوع من الغزو لا يأتي مكشوفاً كما هو الحال في الغزو العسكري، وإنما يأتي مقنعاً يتسلل إلى عقل الأمة وقلبها في خفاء، فيأتيها مع المعلم أو الكتاب، ومع الأغنية أو الفيلم أو الإعلان، ولم يعد يطلب الثكنة أو القاعدة الإستراتيجية في المكان، وإنما أصبح هدفه هو الإنسان.

ولما كان هذا الغزو بهذه الطريقة فإن كثيراً من أبناء المجتمعات الإسلامية لم يشعروا به، بل إنهم لا علم لهم به أصلاً، ولهذا لم يتخذوا أي وسيلة من وسائل مقاومته، فأصبح بعضهم ينقاد إلى عدوه كما تنقاد الضحية إلى جزارها

---

(١) سيأتي الكلام عن موضوع الرقابة على وسائل الإعلام، وبيان هل مازالت وسيلة المنع والحجب مجدية وممكنة أم لا؟

وهي لا تعلم أنه يريد ذبحها والقضاء عليها، وهذا في الحقيقة هو مكمن الخطر، وهو الذي أراده هؤلاء الأعداء وخططوا له، وللأسف نراهم قد نجحوا فيه إلى درجة كبيرة.

والمقصود – هنا – أنه يجب أن تكون المجتمعات الإسلامية على قدر كبير من الوعي بخطورة هذا الغزو، لاسيما ما يبث خلال وسائل الإعلام من مواد يستهدف بها الإسلام وأهله على وجه العموم والشباب على وجه الخصوص، فلابد من التوعية الإسلامية الشاملة في البيت والمدرسة والمسجد، التوعية التي يتعاون على تحقيقها كل مسؤولي المجتمع من أعلى المقامات إلى نهاية الدرجات، كل في حدود إمكاناته.

فهذه التوعية ضرورية جداً وهي مسؤولية كبيرة سوف يحاسبنا عليها الله سبحانه وتعالى، إذ جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته)[1]. فنحن في هذه الأيام نعيش في تهديد شرس لبذر الانحراف ومد جذوره في العقول، ولا يقاوم هذا التيار إلا المواجهة الواعية والدراسة العميقة لأساليبه.

فإذا تمكن قادة الأمة وعلماؤها ومفكروها من غرس هذا الوعي في المجتمعات وأصبح المشاهد يعرف أن غالب ما يبث في هذه الوسائل من مواد يراد به دينه وثقافته ومبادئه وأخلاقه، ويسعى من خلالها لأن يكون الناس كلهم تبعاً لثقافة واحدة تسوّق لها تلك الوسائل، فإن هذا يستنهض الأمة لصد هذا الغزو بشتى الطرق والوسائل، وستحاول جاهدة المحافظةَ على مقدراتها وأصولها وثوابتها.

وإذا كانت فرنسا وألمانيا وبعض دول أوروبا قد أحست بهذا الخطر

---

(١) رواه البخاري في صحيحة (١/ ٣٠٤) (كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن) حديث رقم: (٨٥٣)، ومسلم في الصحيح (٣/ ١٤٥٩) (كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم)، حديث رقم: (١٨٢٩).

الذي يهدد هويتها وخصائص مجتمعاتها وشخصية أبنائها، وحرصت على اتخاذ وسائل محددة تحد من تأثير وسائل الإعلام في أبنائها حرصاً منها على ألا تذوب مجتمعاتها في الثقافة التي تدعو لها أكثر وأقوى وسائل الإعلام، مع أن هذه الثقافة وذلك الفكر لا يختلف كثيراً عن ثقافة وفكر تلك الدول، مع هذا رفضت تلك الدول وما زالت انصهار مجتمعاتها فيما يعرض عليهم من ثقافة، وثار المثقفون والقادة في هذه الدول وحذروا مجتمعاتهم من الاستجابة لتلك الدعوات التي تبث عبر وسائل الإعلام بأشكال مختلفة، ويراد بها الهيمنة على العالم وعولمته وفرض ثقافة واحدة وفكر واحد على العالم بأسره.

إذا نظرنا إلى حال تلك الدول في مواجهتها لتلك الثقافة الغازية، فإننا نجد أنها تواجه في الحقيقة ثقافة واحدة وحرباً محددة، تعرف من ورائها وماذا يريد منها، ومع هذا فقد واجهته، واتخذت وسائل عدة لمقاومته، واجتهدت في توعية شعوبها وأبنائها بتلك المخاطر بمختلف الوسائل. ولا ريب أن الأمة الإسلامية شعوباً وحكومات ومؤسسات هي أولى بهذه المواجهة وتلك التوعية لأمور:

١ - أن الأمة الإسلامية تدين بالدين الحق الذي رضيه الله - سبحانه وتعالى - لها، ونسخ به سائر الأديان والشرائع، ولا يقبل الله - عز وجل - ديناً سواه، كما أنها تحمل ثقافة حقة تتميز بها عن سائر الثقافات، لها أصولها وثوابتها ومبادؤها وأخلاقها التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها؛ ولهذا فهي أحق الأمم بالمحافظة على هذا الدين وتلك الثقافة من الأفكار والأخطار التي تهددها وتهدد أبناءها.

٢ - أن الأمة الإسلامية قد تكالب عليها الأعداء وكثر خصومها ومحاربوها حتى من أبناء جلدتها، ووجهوا إليها أسلحتهم من خلال تلك الأفكار التي يبثونها والثقافات التي يسوقونها، والمشاهد التي يعرضونها، فكل ثقافة ودين غير دين الإسلام هو في الحقيقة يشكل خطراً على الأمة الإسلامية، وإن كانت تلك الأخطار والثقافات تتفاوت قوة وضعفاً، فإنها

جميعاً تحرص على مهاجمة الإسلام وأهله، ولعل هذا مصداق للحديث الذي رواه ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل"[(١)].

٣ – أن غالب شعوب وأفراد المجتمعات الإسلامية ينقصهم الوعي بهذا الغزو الخفي وذلك العدو المستتر، ويبهرهم ذلك التقدم والتطور والدقة والتنوع في تلك الوسائل؛ وهذا ما جعل تلك المشاهد والمواد تستهويهم ويجدون فيها متعتهم، فأدى ذلك إلى تنافسهم في متابعتها، وحرصهم على مشاهدتها، فصار تأثيرها أسرع وأبلغ في حياتهم وسلوكهم.

ولهذا فإن توعية المجتمعات بهذا الغزو الغاشم من الأمور الأساسية التي لابد أن تؤخذ في الاعتبار، كما أنها مهمة لا تقتصر على فرد أو مؤسسة بعينها، بل هي مهمة الدول والحكومات والمؤسسات والعلماء والدعاة والمثقفين ورجال الأعمال والإعلاميين والأسرة والشعوب نفسها.

* التربية الإسلامية الصحيحة:

من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها مواجهة هذا الغزو: تربية أبناء المجتمعات الإسلامية التربية السليمة الصحيحة وفق التوجيهات التي جاءت بها شريعتنا الغراء، لاسيما إذا تحقق لدينا أن جلّ هذا الغزو وتلك المواد التي تعرض في وسائل الإعلام موجهة إلى أطفال المسلمين وشبابهم، ومن هنا تحتمت العناية بالفرد المسلم منذ نعومة أظفاره بما يضمن له النجاة من الأخطار المحدقة به، انطلاقاً من البيت، ومروراً بالمدرسة، وانتهاء بالمجتمع.

فالبيت أو الأسرة: هو المحضن الأول للفرد الذي فيه تتشكل شخصيته، وذلك أنه من خلال "العيش في هذه البيئة يتشبع ويقتبس ويمتص عاداتٍ

---

(١) رواه أبو داوود في سننه (٤/١١١) (كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام) حديث رقم: (٤٢٩٧).

وتقاليد ولغةً ومعتقداً، وغير ذلك من أنماط السلوك، وبقدر ما يتوافر في هذه البيئة من قيم ومثل ووعي وإدراك تكون شخصية الطفل"(١).

ولهذا فإنه يجب على الأسرة المسلمة الاهتمام بتنشئة أبنائها تنشئة شاملة تراعي فيها الجوانب الأساسية في بناء الفرد، وعلى رأسها: جانب العقيدة، وجانب العبادة، وجانب الأخلاق، وجانب العلم والثقافة، بحيث تتكون لدى الفرد حصانة ذاتية أمام تلك الأفكار والشبه والسلوكيات التي تعرض له ويشاهدها في وسائل الإعلام المختلفة.

كما أن اهتمام الأسرة له أثر كبير وجوهري في قضية النصح والتوعية والإرشاد والتوجيه لأبنائها، وتعليمهم ما ينفعهم وما يضرهم، وإرشادهم إلى الأسس والأصول والمعايير التي بها يميزون بين الخير الذي ينفعهم في دينهم ودنياهم، والشر الذي يضرهم ويؤثر في حياتهم وأخراهم، وهذا يعني أن الأسرة المسلمة تتحمل مسؤولية عظيمة تجاه بناء أولادها وحمايتهم.

وإذا كان للأسرة أثر رئيس في تربية النشء ومواجهة آثار الغزو المنظم من خلال وسائل الإعلام المرئي، فإن تأثير المدارس ومؤسسات التعليم لا يقل أهمية عن تأثير الأسرة، لاسيما إذا أخذنا في الحسبان أن الطالب يقضي ساعات طوالاً على مقاعد الدراسة، قدر بعضهم مجموعها بأحد عشر ألف ساعة تقريباً، منذ بداية دراسته حتى تخرجه في الثانوية العامة(٢)، فهذه الفترة الطويلة كفيلة بتغيير الطالب وصناعة شخصيته وبناء ثقافته إذا استغلها المسؤولون عنها الاستغلال الأمثل.

فوظيفة المدرسة لا تقتصر على تثقيف الطلاب وتزويدهم بالمعلومات، بل "الوظيفة الأساسية للمدرسة في نظر الإسلام هي تحقيق التربية الإسلامية بأسسها الفكرية، والعقدية، والتشريعية، وبأهدافها، وعلى رأسها هدف: عبادة

---

(١) دور التربية الإسلامية، الصادق بلحاج، بحث ضمن الدورة التدريبية السابعة للمركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض بعنوان (طرق إحكام الرقابة على وسائل الغزو الفكري والخلقي) (٢/١٣).

(٢) انظر: البث المباشر حقائق وأرقام، د. ناصر العمر، (ص ١٤ – ١٥).

الله وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته، وتنمية كل مواهب النشء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها، أي صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف"(١).

وهذا يعني أن بإمكان المدرسة من خلال اهتمامها بالطلاب وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة أن تعزز في نفوسهم انتماءهم إلى دينهم واعتزازهم بعقيدتهم.

كما أن باستطاعة المدرسة أن تربي في التلاميذ التفكير الناقد والمناعة والحصانة ضد أي أفكار وسلوكيات منحرفة تقدم من خلال وسائل الإعلام، بحيث تكون لديهم القدرة على التعامل مع هذه الوسائل والتمييز والاختيار عند المشاهدة، والابتعاد عما ينافي عقيدتهم وقيمهم من خلال رضاهم وقناعتهم الشخصية.

* الرقابة:

بعد أن ظهرت لنا تلك الآثار الخطيرة في الفرد والمجتمع لأغلب القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية، فإن هذا يحتم على الأمة الإسلامية – وعلى رأسها الحكومات الإسلامية – أن تتخذ موقفاً واضحاً وقوياً من هذه الوسائل، فإنها لو تركت تلك الوسائل تعبث بعقيدة الأمة وأفكارها وسلوكها وأخلاقها بغير وضع حدٍّ لتلك المواد السيئة والغثاء الفني والإعلام العفن فستجد أن شعوبها وأفرادها قد تحولوا إلى نسخ مطابقة للشعوب والثقافات الغربية، وتنكروا لدينهم وثقافتهم وتاريخهم.

ولهذا فالواجب عليها وضع رقابة شديدة على تلك القنوات والمواقع، ونقصد بالرقابة هنا "وجوب وضع معايير للمصنفات الفنية المعروضة بحيث تتوافق هذه المعايير مع قيم المجتمع المسلم وعقيدته وتقاليده الأصيلة"(٢)، ومحاولة منع وحجب تلك القنوات الهابطة والبرامج السيئة والمواقع الضارة،

---

(١) أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة، لعبد الرحمن النحلاوي، (ص١٤٨).

(٢) الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها، د.عبد القادر عطا صوفي، (ص ١١٠).

بالإضافة إلى مراقبة المسلسلات والبرامج والأفلام المستوردة التي تشكل حيزاً كبيراً في الكثير من القنوات العربية والإسلامية، فقد بلغت تلك المواد المستوردة في بعض القنوات أكثر من ٧٠٪ من مادتها الإعلامية(١).

كما أنه – بحسب دراسة قام بها مركز التراث الحضاري والطبيعي في القاهرة – ثبت أن حجم المحتوى العربي على شبكة الإنترنت لا يتعدى نسبة ٠,٥٪ من المحتوى العالمي للشبكة العالمية، وأشارت الدراسة إلى أن نسبة التراث العربي والإسلامي المسجل على الشبكة لا يتجاوز ١٦,٥٪ مما تم تسجيله على قائمة التراث العلمي، وهو ما يتناقض بصورة كبيرة مع حجم الإسهامات التي قدمتها الثقافة والحضارة العربية على امتداد تاريخ الإنسانية(٢).

ولا شك في أن مصدري تلك البرامج والأفلام وأصحاب تلك الصفحات والمواقع لهم عقائدهم وأفكارهم وثقافتهم التي يسعون لخدمتها ونشرها من خلال تلك الوسائل، ولهذا فالواجب إنشاء أجهزة للرقابة الإعلامية تكون مهمتها متابعة تلك المواد والمواقع قبل بثها، والسعي إلى منع ما لا يتفق مع مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيمه وآدابه وأخلاقه(٣).

والجدير بالذكر أن بعض الدول الإسلامية قد تنبهت لهذا الخطر منذ فترة طويلة، فقد جاء في المؤتمر الأول لوزراء العرب المسئولين عن الشؤون الثقافية

---

(١) الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية، دمحمد عبد العليم مرسي، (ص١٥٢).

(٢) نشرت هذه الدراسة في صحيفة الجزيرة السعودية، العدد: (١٣٢٦٢) بتاريخ ٢٢/ محرم/١٤٣٠هـ الموافق ١٩/١/٢٠٠٩م.

(٣) وقد كان لشركة الاتصالات السعودية في هذا المجال تجربة ناجحة تستحق الإشادة، تتمثل في خدمة تقدمها الشركة لعملائها يمكنهم من خلالها الاشتراك في شبكة الإنترنت الآمنة والنقية، وذلك باستخدام تقنية حديثة يتم من خلالها حجب جميع المواقع غير اللائقة لأفراد العائلة التي تخالف القيم الإسلامية السامية، والجدير بالذكر – هنا – أن الخدمة جمعت بين التقنية والسرعة والمحافظة. انظر: جريدة الرياض السعودية، العدد (١٤٨٤٨)، تاريخ ١٧/٢/٢٠٠٩م.

الذي عقد في عمّان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية في الفترة من التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٩٦هـ إلى الثاني من محرم ١٣٩٧هـ الموافقة للعشرين من ديسمبر إلى الثالث والعشرين منه سنة ١٩٧٦م بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

"تصميم الأمة العربية على القضاء على جميع آثار الاستلاب الثقافي والغزو الفكري الظاهر والمستتر اللذين تعرضت لهما في الماضي عن طريق الغزوات الاستعمارية ودفع الصور الجديدة من الاستعمار وخاصة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، ويتمثل هذا في الاستلاب الثقافي فيما يلي:

- محاولة فرض مظاهر الاغتراب اللغوي والفكري والثقافي.
- محاولة طمس معالم الشخصية الثقافية العربية.
- محاولة إغراق المجتمع العربي بمواد مناهضة للقيم الثقافية الصحيحة.
- العبث بالممتلكات الثقافية وانتهاك المقدسات الدينية[١].

ومع هذا الوعي بتلك المواد الخطرة والأساليب الشريرة لم تتخذ هذه الدول وسائل تذكر لمواجهة هذا الغزو، فمازالت القنوات الفضائية تبث في كل هذه الدول بغير رقابة تذكر، ومازالت الشبكة العالمية متاحة للجميع للدخول فيها والتجول في كل مواقعها وصفحاتها بغير رقابة - أيضاً - وبغير توعية للشعوب والأفراد بأخطارها في أغلب تلك الدول، ولم تزل تلك الدول - أيضاً - تبث البرامج والمواد المستوردة من خلال قنواتها الرسمية بغير تصفية لما فيها من مشاهد، والأعجب من ذلك: قيام بعض القنوات العربية والإسلامية وشركات الإنتاج الفني بإخراج الكثير من البرامج والمواد والأفلام والمسلسلات التي تحتوي على قدر كبير من المشاهد والمقاطع التي لا تتوافق مع أخلاق وسلوكيات ومبادئ الإسلام، متأثرين في ذلك بما يعرض في الغرب من برامج، ومتذرعين برغبة المشاهدين في متابعة مثل تلك المواد، وهذا يعني أن الرقابة لابد أن تشمل -أيضاً- القنوات الرسمية والقنوات التجارية الخاصة التي لا هم

---

(١) الإسلام والغزو الفكري، د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، (ص ٨).

لها إلا زيادة عدد مشاهديها ومشتركيها دون مراعاة لما ينفع المشاهد وما يضره من مواد.

هذا فيما يتعلق برقابة الحكومات أو ما يسمى بالرقابة الرسمية، وهناك رقابة من نوع آخر وهي رقابة الأسرة والوالدين ورقابة المجتمع، وهي - في حقيقة الأمر - لا تقل أهمية عن النوع الأول، فإن واجب الوالدين ومسؤوليتهم أكبر وأعظم، فالأسرة التي تتيح لأولادها النظر إلى القنوات الفضائية والدخول إلى الشبكة العنكبوتية بغير توجيه أو رقيب تجني على أفكار أطفالها وسلوكهم، بل قد يصل الأمر إلى دينهم وعقيدتهم.

ولهذا فالواجب على الآباء متابعة أبنائهم ومراقبتهم ومعرفة ما يشاهده هؤلاء الأولاد من مواد، وما يزورونه من مواقع، ويتبينوا هل ما يشاهدونه ضار أم نافع، ولاسيما أن نسبة كبيرة من المجتمع تفضل مشاهدة تلك القنوات والدخول إلى الشبكة العالمية بمفردهم بغير أن يشاهدهم أحد، وقد وجه هذا السؤال إلى العينة التي أجريت عليها الدراسة فكانت النتيجة كالتالي:

٣٧,٦٪ من جملة أفراد عينة الدراسة يفضلون أن يكونوا بمفردهم عند مشاهدة القنوات الفضائية، في حين أن ٢٢,٧٪ من إجمالي أفراد عينة الدراسة يفضلون أحياناً أن يكونوا بمفردهم عند المشاهدة.

أما بالنسبة للإنترنت فقد كانت النسبة أكبر إذ أن ٤٤,٩٪ من جملة أفراد عينة الدراسة يفضلون أن يكونوا بمفردهم أو في مكان مغلق عند الدخول إلى شبكة الإنترنت، كما أن ٢٤,٢٪ من جملة أفراد عينة الدراسة يفضلون أحياناً أن يكونوا بمفردهم أو في مكان مغلق عند الدخول إلى الشبكة.

وأكثر مجتمعاتنا تتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية، والسبب في ذلك: أنها لم تكلف نفسها مراقبة تلك الوسائل التي تستهدفها وتستهدف أبناءها، ولم تسع - في الغالب - لحث الحكومات على متابعة ما يبث من خلال أثيرها من سموم، ولم تقاطع تلك القنوات والمواقع، بل إن بعض المجتمعات - للأسف - تتولى الإعلان والتسويق لتلك القنوات والمواقع.

ولهذا النوع من الرقابة الذي تتولاه هذه المؤسسات أهمية في المساهمة في تقليل آثار وأضرار تلك الهجمة الشرسة، باعتراف شريحة كبيرة من المجتمع، فقد أظهرت الدراسة التي قمنا بها أن ٩٢,٣٪ من جملة أفراد عينة الدراسة يعتقدون أن القنوات الفضائية في حاجة إلى رقابة، على حين يرى ٨٨,٤٪ من جملة أفراد عينة الدراسة أن مواقع شبكة الإنترنت وما يعرض فيها في حاجة إلى رقابة أيضاً، إلا أنني في الواقع أرى أن هناك ما هو أهم منها؛ وهو ما يسمي بالمراقبة الذاتية التي يغرسها الوالدان والأسرة وتغرسها مؤسسات التعليم والمؤسسات الدينية والمجتمع بأسره في نفوس أفراده، بحيث تكون تلك الرقابة نابعة من داخل المراهق أو الشاب فتحجزه في أي وقت وفي أي مكان عن مشاهدة ما يضره ويؤثر فيه.

وإنما كان لهذا النوع من المراقبة أهميته البالغة لأمور، منها:

١ – أن مراقبة القنوات الفضائية والشبكة العالمية وما تتضمنه من مواقع وصفحات لم تعد بالأمر السهل، فهي تحتاج إلى جهود كبيرة عالمية، وتقنيات عالية حتى يتحقق التحكم فيما يبث فيها.

٢ – أن الرقابة الذاتية ملازمة لصاحبها في أي وقت وفي أي مكان، أما الرقابة التقليدية فإنها قد تكون في وقت دون وقت وفي مكان دون الآخر.

٣ – أن النتائج المترتبة على الرقابة الذاتية أكبر بكثير من النتائج المترتبة على الرقابة التقليدية.

٤ – أن تكلفة الرقابة الذاتية والجهد المبذول فيها أقل بكثير من تكلفة الرقابة التقليدية، فإن الأولى لا تحتاج إلى شراء أجهزة متخصصة للرقابة على القنوات والمواقع، ولا بناء مدن إعلامية خاصة، ولا موظفين يراقبون تلك المواد على مدار اليوم والليلة، وإنما تقتصر على تنشئة الأجيال على الخوف من الله سبحانه ومراقبته في كل أحوالهم، وغرس الأخلاق الحميدة والسلوك الصحيح في المجتمعات، وتوعيتهم بما يضرهم وما ينفعهم من تلك المواد والمواقع.

٥ – أن من المقرر عند الجميع أن الشيء الذي يمنع ويحجب يكون مرغوباً ومطلوباً عند الناس بطبيعة فضول بعضهم ولِحُبِّ المعرفة والاستطلاع عند بعضهم الآخر، وهذا يعني أنه إذا تم حجب بعض المواقع أوالقنوات أو المواد فإن من الناس من سيحرص على البحث عنها ومشاهدتها أو السؤال عما يبث ويعرض فيها، وهذا يجعل وسيلة المنع أو الحجب لدى بعضهم غير مجدية، ولا يعني هذا أننا نعارض هذه الوسيلة أو نقلل من أهميتها، ولكن بمشاهدة الواقع – ولاسيما مع هذه الثورة الحديثة في الاتصالات والأجهزة – أصبح بإمكان الناس مشاهدة ما يريدون مما قد يكون ممنوعاً ومحجوباً، وهذا يعني أن الرقابة التقليدية صار تأثيرها – مع أهميتها وحاجتنا لها – محدوداً، وهذا ما جعلنا نؤكد أن الرقابة الذاتية أنفع وأجدى من غيرها.

* الإعلام الإسلامي البديل:

الناظر إلى واقع المجتمعات اليوم وحالها يجد أنه برغم التحذيرات من مخاطر القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية قد دخلت وستدخل كل بيت رضينا أم أبينا، بل إنها أصبحت عند الكثير من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها، وهذا يعني أننا إذا لم نستطع السيطرة عليها وجعلها قوى في أيدينا نوظفها لخدمة أهدافنا ومصالحنا فسوف يمارس البث المباشر تأثيره الخطير في الغزو الفكري والثقافي للبلاد الإسلامية، وأحكام ديننا الحنيف وقيمه الأخلاقية.

لذلك لابد من استغلال هذا السلاح لصالح الأمة الإسلامية واستخدامه في نشر دين الإسلام والدعوة إليه وتعريف الناس به، ودعوة أهله إلى التمسك بعقيدتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، وتوعيتهم بتلك الأخطار الكثيرة التي تهددهم وتحاول إبعادهم عن دينهم وثقافتهم، ولن يكون ذلك إلا بوضع إستراتيجية إعلامية إسلامية تعزز الوجود الإسلامي في الفضاء عن طريق القنوات

الفضائية والأقمار الصناعية، وأن تستغل هذه الإستراتجية القدرات الإعلامية الإسلامية بشكل أفضل.

وتهدف هذه الإستراتيجية إلى تحديث الإعلام الإسلامي؛ ليكون داعياً لنهضة إسلامية شاملة، ويكون فاعلاً في الربط بين الدول الإسلامية، وداعماً لقضايا التنمية في هذه الدول، وعارضاً لجوهر الدين الإسلامي الحنيف، ومفنداً للأكاذيب التي تشوّه صورة الإسلام في الخارج، ومناهضاً للعنصرية والتطرف والتعصب.

إن أركان هذه الإستراتيجية تقوم على إنشاء شبكة فضائية إسلامية لتكون البديل الإسلامي للوجود الأجنبي في الفضاء، وتسهم في محاربة التيارات المتطرفة(١).

إذا استطاعت المجتمعات والحكومات الإسلامية تطبيق هذه الإستراتيجية واستغلال القنوات الرسمية والأقمار الصناعية لهذه الأهداف السامية والمقاصد النبيلة فإننا على يقين أن هذه الجهود ستسهم بشكل كبير في الوقوف أمام ذلك الغزو والحد من تأثيره.

وهذا هو أحد الواجبات التي تطالب بها تلك الحكومات، وهو – أيضاً– أمل من الآمال التي تنتظرها المجتمعات الإسلامية على وجه العموم، وينتظرها الكثير من العلماء والمفكرين والمثقفين والدعاة على وجه الخصوص، للحفاظ على ديننا وثقافتنا وأخلاقنا من ذلك الغزو المدمر.

وإذا نظرنا إلى واقعنا اليوم نجد أن الجهود في هذا الجانب – جانب الإعلام الإسلامي والقنوات الفضائية الإعلامية – ما تزال جهوداً فردية محدودة تنكر فتشكر، إذ إنها مع حداثتها وصغر سنها، وقله عددها بالقياس بغيرها "استطاعت أن تثبت نفسها، وحق لها أن تفخر بما قدمته وتقدمه برغم كل

(١) انظر: مشروع سعودي مصري لإنشاء شبكة فضاء إسلامية، لصفوت الشريف، نشر في جريدة السياسة الكويتية، بتاريخ ٩ – ١٠ شعبان ١٤١٤هـ، ٢٠ – ٢١ يناير ١٩٩٤م.

الهفوات التي لا يخلو منها عمل، حيث أطلق هذا النمط فضاء من الدعوة الرصينة الواعية في أجواء مشحونة بالبث الفاسد المدمر، واستطاعت الصمود والاستمرار والتأثير الوجداني والنفسي والخلقي والديني والعلمي وهذا أمر بات واضحاً للبصر، ولم يعد خافياً حتى على الجاهلين "[١].

ومع هذا فإننا ما نزال في حاجة ماسة إلى إنشاء قنوات إسلامية أخرى[٢] تتخصص كل قناة في مخاطبة شريحة من المجتمع تعرف أحوالها وميولها وحاجتها فتسعى إلى تحقيقها بطريقة إسلامية تتناسب مع تلك الفئة وتواكب ذلك التطور السريع في الإخراج الفني والتصوير، بحيث تكون تلك البرامج والقنوات قادرة على جذب المشاهدين، وتكون بديلاً عن القنوات الأخرى الفاسدة.

ولا شك أن هذه المواجهة ليست من الأمور السهلة بل تحتاج في الحقيقة إلى جهود كثيرة وكبيرة مدعومة من الدول والحكومات الإسلامية وشركات الإنتاج الفني والمدن الإعلامية ورجال الأعمال؛ حتى تكون على المستوى الذي تستطيع معه الوقوف أمام ذلك الكم الهائل من القنوات والمواقع والمواد الهدامة.

ولذلك فلابد في هذه المواجهة من أخذ الأمور التالية في الاعتبار:

١ – الوقوف على خطة إعلامية موحدة بين الدول الإسلامية لمواجهة البث المباشر.

٢ – الرقي بالإعلام الإسلامي وبمستواه التقني لمواجهة البرامج الأجنبية.

٣ – ضرورة إعادة النظر في البرامج الإعلامية في الدول الإسلامية؛ لتكون أكثر تأثيراً من الإعلام الغربي المهيمن على وسائل الإعلام في العالم أجمع.

---

(١) أثر الفضائيات الإسلامية في الأفراد والمجتمعات د. طارق البكري (ص ٦).

(٢) وهذا ما أجمع عليه المشاركون في المؤتمر الرابع عشر بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، بعنوان "الفضائيات الإسلامية واقعها وآفاقها" في الفترة من ٢٨ – ٢٩ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ – ١٥ – ١٦ مايو ٢٠٠٧م

٤ – إنشاء مواقع إسلامية متخصصة على شبكة الإنترنت تكون على درجة عالية من التقنية، وتقدم العديد من الخدمات للزوار.

٥ – إنشاء غرف خاصة للمحادثة تدعو إلى الإسلام وتبين حقيقة، وترد على الشبه المثارة حوله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أورد أهم ما توصلت إليه من نتائج:

- أن الغزو الفكري أصبح حقيقة واضحة للجميع، لا يمكن طمسها ولا التغافل عنها، على الرغم من تلك الأصوات التي تنكرها أو تحاول تسويغها.
- أن بداية الغزو الفكري قديمة جداً، إلا أن ضراوته اشتدت بعد الحروب الصليبية.
- أن الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري، فآثاره أكبر وأنكى وتكلفته أقل وأيسر.
- أن أعداء الإسلام لا يزالون يسعون إلى السيطرة على الأمة الإسلامية ومجتمعاتها من خلال مجالات شتى، منها: مجال الدين، ومجال التعليم، ومجال الإعلام، مستخدمين في ذلك أساليب شتى، وطرقاً كثيرة في سبيل تحقيق أهدافهم.
- أن قادة الدول العظمى – ولاسيما أمريكا – قد أولوا وسائل الإعلام ووسائل الاتصال أهمية كبيرة؛ وذلك لما رأوا من تأثيرها البالغ في الأفراد والمجتمعات.
- أن القنوات الفضائية والشبكة العالمية هي في حقيقتها وسائل اتصال عصرية، لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال معرفة واقع استخدام الناس لها، وهذا يعني أنها سلاح ذو حدين.
- أن العداوة ضد دين الإسلام من قِبَلِ غيره من الأديان والثقافات لا تزال قائمة وإن اختلفت الأساليب والوسائل واتخذت أشكالاً مختلفة.
- أن المبالغة في متابعة القنوات الفضائية والشبكة العالمية له تأثير سلبي على المستوى العلمي والثقافي لأبناء الأمة الإسلامية، ولاسيما الأطفال.

- أن أخلاق وقيم وعادات المجتمعات الإسلامية تتعرض لهجمة شديدة عبر المواد الإعلامية والإعلانية التي تبث في وسائل الإعلام المرئي.
- أن بعض أبناء المسلمين لا يعلم حقيقة هذا الغزو ولا يشعر به أصلاً.
- أن الرقابة التقليدية الرسمية لوسائل الإعلام – مع أهميتها وحاجتنا إليها– لم تعد مجدية في ظل هذا التطور التقني والتكنتولوجي.
- أن الرقابة الذاتية التي تزرع في نفوس الأفراد نتيجتها أبلغ وتأثيرها أكبر من رقابة المنع والحجب.
- أن واقع الإعلام الإسلامي اليوم ليس على المستوى المطلوب الذي يمكن أن يواجه ذلك الهجوم المنظم، وتلك المواد الإعلامية المستوردة.

فهرس المراجع

أولاً: الكتب:

١ - الإباحية وتبعاتها، د. مشعل بن عبد الله القدهي - دار كنوز أشبيليا - الرياض - الطبعة الأولى - (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥).

٢ - أبرز المواقع التنصيرية عبر شبكة المعلومات العالمية، إنعام بنت محمد عقيل، مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

٣ - آثار الفيديو والتلفزيون على الفرد والمجتمع، مروان كجك - مكتبة الكوثر - الرياض - الطبعة الأولى - (١٩٩٧م).

٤ - أثر الفضائيات الإسلامية في الأفراد والمجتمعات، د. طارق البكري، طبع على هامش المؤتمر الرابع عشر لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالكويت، والذي كان بعنوان: "الفضائيات الإسلامية واقعها وآمالها" في الفترة (١٥-١٦مايو ٢٠٠٧م).

٥ - أثر وسائل الإعلام على الطفل، د. صالح دياب هندي، دار الفكر - عمّان - الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ،١٩٩٨م).

٦ - أثر وسائل الإعلام على الطفل، د. عبد الفتاح أبو معال، دار الشروق- عمّان - الطبعة الأولى(٢٠٠٠م).

٧ - أخطار التنصير بالأقمار الصناعية، عاطف زهران- مجلة الرابطة الإسلامية - مكة المكرمة - العدد (١٤٠) - (رمضان ١٤٠٩هـ - مايو ١٩٨٩م).

٨ - الأسس العلمية للعلاقات العامة، د. علي عجوة - عالم الكتب - القاهرة- الطبعة الثالثة - (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٩ - الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: د.عمر فروخ، مكتبة المنار - الكويت - الطبعة السابعة (١٩٧٤م).

١٠- الإسلام والغزو الفكري، د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت – الطبعة الأولى (١٤١١هـ – ١٩٩١م).

١١- الإعلام – مفاهيم، د. على النجعي، مطبعة سفير – الرياض – (١٧٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

١٢- أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية وأثرها على قيم وسلوك الطفل المسلم في المملكة العربية السعودية، فاطمة أحمد أبو ظريفة- رسالة عليمة لم تنشر يوجد منها نسخة بمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث برقم (٥٣٢٥٢١).

١٣- الأقمار الصناعية ووظائفها الاتصالية، د. راسم محمد جمال، مكتبة مصباح – جدة – (١٤٠٩هـ).

١٤- البث التليفزيوني المباشر استقباله وعلاقته ببعض العوامل التعليمية والقيمية، د. بدرية العرادي، مكتبة تربية الغد – الرياض – الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

١٥- البث المباشر الآثار والمواجهة تربوياً وإعلامياً، د. إبراهيم الدعيلج، دار القبلة – مكة المكرمة – الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١٦- البث المباشر التحدي الجديد، عبد الرحمن إبراهيم عسيري، دار طويق – الرياض – الطبعة الأولى.

١٧- البث المباشر حقائق وأرقام، د. ناصر العمر، مؤسسة الجريسي – الرياض – الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

١٨- تابع العروس من جواهر القاموس، محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية للنشر، تحقيق: مجموعة من المحققين (بدرون تاريخ).

١٩- التبشير والاستعمار، د.عمر فروخ، دمصطفى الخالدي، المكتبة العصرية – صيدا – الطبعة الأولى (١٩٨٠م).

٢٠- التلفزيون والتغيير الاجتماعي في الدول النامية، د. سعيد مبارك آل زعير – دار الشروق – جدة – (بدون تاريخ).

٢١- التلفزيون والمشاهد، د. سعد عبد الرحمن - وزارة الإعلام الكويتية - الطبعة الثانية - (١٩٨٠م).

٢٢- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى (٢٠٠١م).

٢٣- الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها، د. عبد القادر عطالله صوفي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م).

٢٤- الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية نظرة إسلامية، د. محمد عبد العليم مرسي، مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الأولى (١٤١٥هـ -١٩٩٥م).

٢٥- جرائم الإنترنت، وضاح الحمود، نشأت المجالي، دار المنار - عمّان - (٢٠٠٥م).

٢٦- دراسة لبعض المواقع التنصيرية العربية في الانترنت، د. خالد بن عبدالله القاسم - الدار الأندلسية للطباعة - الإسكندرية - الطبعة الأولى - (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٢٧- دور المسلم في الحياة، د. توفيق الواعي، دار النشر والتوزيع - القاهرة (بدون تاريخ).

٢٨- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر - بيروت - تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٩- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير - بيروت - الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٣٠- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٣١- الطفل المسلم بين منافع التلفزيون ومضاره، د. محمد عبدالعليم مرسي - مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الأولى- (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٣٢- الغزو الفكري التحدي والمواجهة، د. إسماعيل على محمد، دار الكلمة للنشر - مصر - المنصورة، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٣٣- الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، د. علي عبد الحليم محمود، دار البحوث العلمية- الكويت- الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣٤- الغزو الفكري وهم أم حقيقة، د. محمد عمارة، دار الشروق الأولى - جدة (١٤٠٩هـ).

٣٥- الفضائيات العربية التنصيرية (أهدافها - وسائلها - سبل مقاومتها)، تركي بن خالد الظفيري - كتاب صادر عن مجلة البيان - الرياض- الطبعة الأولى - (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٣٦- الفضائيات مالها وما عليها، عادل محمد العبد العالي - مؤسسة الجريسي - الرياض - الطبعة الأولى.

٣٧- الفضائيات والانترنت وآثارها على الطلاب، عصام عبد العزيز الشايع، دار الوطن للنشر - الرياض - الطبعة الأولى - (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٣٨- الفن الواقع والمأمول، د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مؤسسة الجريسي - الرياض - (١٤٢٦هـ).

٣٩- قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، د. عواطف عبد الرحمن - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - العدد (٧٨) - تاريخ (رمضان ١٤٠٤هـ - يونيو ١٩٨٤م).

٤٠- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر للنشر - بيروت - الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

٤١- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، عبد الله الشبانه، دار طيبة - الرياض - الطبعة الرابعة (١٤٢٣هـ).

٤٢- من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم واللغة والقانون، أنور الجندي، دار الاعتصام - القاهرة (بدون تاريخ).

٤٣- النظام الإعلامي الجديد، د. مصطفى المحمودي- سلسلة عالم المعرفة - المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - العدد (٩٤) - محرم (١٤٠٦هـ).

٤٤- واقعنا المعاصر - محمد قطب - مؤسسة المدينة للنشر - جدة - الطبعة الأولى - (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

ثانياً: الأبحاث والمجلات الدورية:

٤٥- اتجاهات الغزو الفكري في الخليج العربي والموقف المطلوب، د. نزار عبد اللطيف الحديثي، ضمن الأبحاث التي قدمت في ندوة: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الجزء الثالث - الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ).

٤٦- الأخطار الأخلاقية للقنوات الفضائية، فهد الشويرخ - مجلة الجندي المسلم - العدد (١١٣)- (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٤٧- الأخطار العقدية للقنوات الفضائية، فهد الشويرخ - مجلة الجندي المسلم - السعودية - العدد (١٠٦) - (١٤٢٣هـ).

٤٨- الانترنت من وجهة نظر إسلامية، محمد البوطي، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي - العدد العاشر - السنة الثامنة (١٤١٧هـ).

٤٩- تحديد مفهوم الغزو الثقافي، د. عبد الله التركي - مجلة التربية الإسلامية - العدد التاسع - جمادى الأولى(١٤١٠هـ).

٥٠- التنصير عبر الانترنت، أحمد محمود أبو زي - مجلة الجندي المسلم - السعودية - العدد (١١٨)- (١٤٢٦هـ).

٥١- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د.عبد الستار فتح الله سعيد، من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ (المجلس العلمي بجامعة الإمام - الطبعة الثانية).

٥٢- غزو ثقافي أم فتوحات فكرية، د.على حرب، مجلة معهد الإنماء العربي-

بيروت – العدد الرابع والسبعون، السنة الرابعة عشرة، خريف (١٩٩٣م).

٥٣- الفضائيات وأثرها على النشء والمجتمع، د. سعد بن معيوف الثمالي – بحث مقدم إلى ندوة الفضائيات والعولمة وأثرها على النشء والمجتمع – مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

٥٤- مجلة الدعوة – السعودية – العدد(١٧٣٦) – محرم (١٤٢١هـ).

٥٥- وسائل الإعلام الغربية والاستلاب الثقافي، د. صالح أو إصبع- مجلة الآداب – بيروت – العدد (٣-٤) – مارس وإبريل (١٩٨٢م).

ثالثاً: الصحف:

٥٦- جريدة الجزيرة السعودية – العدد (١٣٢٦٢)، تاريخ (٢٢ محرم ١٤٣٠هـ – ١٢ يناير ٢٠٠٩م).

٥٧- جريدة الجزيرة السعودية – العدد (٦٣٥٩)، بتاريخ (٣٠ رجب ١٤١٠هـ- ١٥ فبراير ١٩٩٠م).

٥٨- جريدة الرياض السعودية- العدد (١٤٨٠٢) – تاريخ (٥ محرم ١٤٣٠هـ – ٢ يناير ٢٠٠٩م).

٥٩- جريدة الرياض السعودية- العدد (١٤٨٤٨) – تاريخ (٢٢ صفر ١٤٣٠هـ – ١٧ فبراير ٢٠٠٩م).

٦٠- جريدة السياسة الكويتية، العدد: ٨٩٨٥-١٠٨٠، بتاريخ (٩ شعبان ١٤١٤هـ – ٢٠-٢١ يناير ١٩٩٤م).